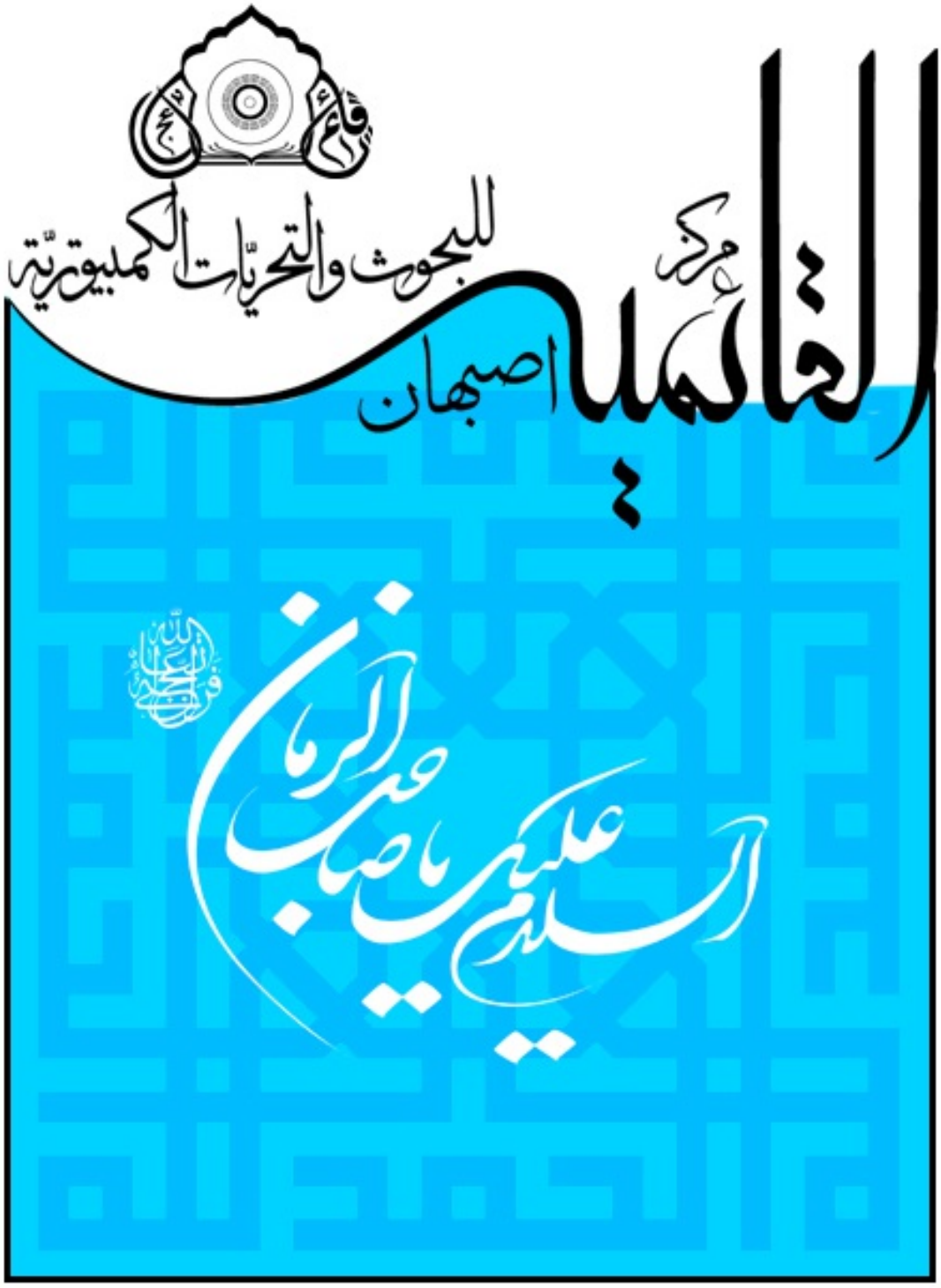

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

المدرسة القرآنية

التفسير الموضوعي
والتفسير التجزيئي
في القرآن الكريم

السنن التاريخية
في القرآن الكريم

عناصر المجتمع في القرآن الكريم

محاضرات سماحة الإمام
محمد باقر الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم

كاتب:

محمد باقر صدر

نشرت فى الطباعة:

اعتماد كاظمينى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
المدرسة القرآنیة: التفسیر الموضوعی و التفسیر التجزیئی فی القرآن الکریم ----- ۷
اشارة ----- ۷
الدرس الأول ----- ۷
الدرس الثانی ----- ۱۳
الدرس الثالث ----- ۱۷
الدرس الرابع ----- ۲۱
الدرس الخامس ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
الحقیقة الاولی: ----- ۲۸
الحقیقة الثانیة: ----- ۲۹
الحقیقة الثالثة: ----- ۳۰
الدرس السادس ----- ۳۲
الدرس السابع ----- ۳۶
الدرس الثامن ----- ۴۳
الدرس التاسع ----- ۴۷
الدرس العاشر ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
الإجراء التاریخی الأول ----- ۵۵
و الإجراء التاریخی الثانی ----- ۵۵
و الإجراء التاریخی الثالث ----- ۵۵
الدرس الحادی عشر ----- ۶۰
الدرس الثانی عشر ----- ۶۷

الدرس الثالث عشر ----- ۷۳

الدرس الرابع عشر ----- ۷۸

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۸۴

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعی و التفسير التجزيئی فی القرآن الكريم

اشارة

سرشناسه : صدر، محمدباقر، ۱۹۷۹ - ۱۹۳۱

عنوان و نام پديدآور : المدرسه القرآنيه: التفسير الموضوعی و التفسير التجزيئی فی القرآن الكريم السنن التاريخيه فی القرآن الكريم: عناصر المجتمع فی القرآن الكريم/ محاضرات محمدباقر الصدر

مشخصات نشر : اعتماد كاظمينی، ۱۳۶۲.

مشخصات ظاهری : ص ۲۵۹

شابک : بها:۳۰۰ريال

وضعيت فهرست نويسی : فهرستنويسی قبلی

يادداشت : افست از روی نسخه چاپ بيروت: دائره‌المعارف، ۱۳۹۹ ه.ق.؟

موضوع : تفسير -- فن

رده بندی كنگره : BP۹۱/۵/ص۴م۴ ۱۳۶۲

رده بندی ديويی : ۲۹۷/۱۷۱

شماره كتابشناسی ملی : م۶۲-۲۷۵۰

ظاهرا افست از نسخه زير:

نام كتاب: المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعی و التفسير التجزيئی فی القرآن الكريم

نويسنده: سيد محمد باقر صدر

موضوع: جامعه‌شناسی قرآنی

تاريخ وفات مؤلف: ۱۳۵۹ ش

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: دار التعارف

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: بی‌تا

نوبت چاپ: بی‌نا

الدرس الأول

التفسير التجزيئی و التفسير التوحيدی للقرآن الكريم يوم الثلاثاء ۱۷/ ج ۱/ ۱۳۹۹ ه-

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعی و التفسير التجزيئی فی القرآن الكريم، ص: ۷

اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم و أفضل الصلوات علی سيد الخلق محمد و علی آله الطيبين الطاهرين.

ربنا فقهنا فى كتابك و اكشف عن قلوبنا ظلمات الذنوب لكى نتفهم آياتك و أزح عن بصائرنا غشاوة الدنيا و بريقها الكاذب لكى نملأ نفوسنا بهداك و اجعلنا من حملة قرآنك و سنة نبيك و السائرين على طريق طاعتك. ندعو بلغة القرآن و بلسان القرآن:

رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَ اغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «۱»، رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا، رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا، رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَ اعْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا، أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى

---

(۱) سورة التحريم آية (۸).

الْقَوْمِ الْكافِرِينَ «۱» رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ، وَ لا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ «۲».

لا- شك فى تنوع التفسير و اختلاف مذاهبه و تعدد مدارسه و التباين فى كثير من الاحيان بين اهتماماته و اتجاهاته: فهناك التفسير الذى يهتم بالجانب اللفظى و الادبى و البلاغى من النص القرآنى. و هناك التفسير الذى يهتم بجانب المحتوى و المعنى و المضمون. و هناك التفسير الذى يركز على الحديث و يفسر النص القرآنى بالمأثور عنهم عليهم السلام أو بالمأثور عن الصحابة و التابعين. و هناك التفسير الذى يعتلج العقل أيضا كأداة من عمق التفسير و فهم كتاب اللّه سبحانه و تعالى.

و هناك التفسير المتحيز الذى يتخذ مواقف مذهبية مسبقة، يحاول أن يطبق النص القرآنى على أساسها. و هناك التفسير غير المتحيز الذى يحاول أن يستنطق القرآن نفسه، و يطبق الرأى على القرآن لا- القرآن على الرأى الى غير ذلك من الاتجاهات المختلفة فى التفسير الاسلامى. الا ان الذى يهمنا بصورة خاصة و نحن على أبواب هذه الدراسة القرآنية،

---

(۱) سورة البقرة آية (۲۸۶).

(۲) سورة الحشر آية (۱۰).

أن نركز على ابراز اتجاهين رئيسيين لحركة التفسير فى الفكر الاسلامى و نطلق على أحدهما اسم «الاتجاه التجزيئى فى التفسير» و على الآخر اسم «الاتجاه التوحيدى أو الموضوعى فى التفسير» و نعنى بالاتجاه التجزيئى المنهج الذى يتناول المفسر ضمن اطاره القرآن الكريم آية فآية وفقا لتسلسل تدوين الآيات فى المصحف الشريف.

و المفسر فى إطار هذا المنهج يسير مع المصحف و يفسر قطعاته تدريجا بما يؤمن به من أدوات و وسائل للتفسير من الظهور أو المأثور من الاحاديث أو بلحاظ الآيات الاخرى التى تشترك مع تلك الآية فى مصطلح أو مفهوم، بالقدر الذى يلقى ضوءا على مدلول القطعة القرآنية التى يراد تفسيرها مع أخذ السياق الذى وقعت تلك القطعة ضمنه بعين الاعتبار من كل تلك الحالات.

و طبعا نحن حينما نتحدث عن التفسير التجزيئى نقدمه فى أوسع و أكمل صوره التى انتهى اليها. و إن التفسير التجزيئى تدرّج تاريخيا الى أن وصل الى مستوى الاستيعاب الشامل للقرآن الكريم بالطريقة التجزيئية.

و كان قد بدأ فى عصر الصحابة التابعين على مستوى شرح

تجزيئى لبعض الآيات القرآنية و تفسير لمفرداتها، و كلما امتد الزمن ازدادت الحاجة الى تفسر المزيد من الآيات الى أن انتهى الى الصورة التى قدم فيها ابن ماجة و الطبرى و غيرهما ممن كتب فى التفسير فى أواخر القرن الثالث و أوائل القرن الرابع. و كانت تمثل أوسع صورة للمنهج التجزيئى فى التفسير.

فالمنهج التجزيئى فى التفسير حيث أنه كان يستهدف فهم مدلول «اللّه»، و حيث ان فهم مدلول «اللّه» كان فى البداية متيسرا لعدد كبير

من الناس ثم بدأ اللفظ يتعقد من حيث المعنى بمرور الزمن و ازدياد الفاصل و تراكم القدرات و التجارب، و تطور الاحداث و الاوضاع.

من هنا توسع التفسير التجزيئى تبعا لما اعترض النص القرآنى من غموض و من شك فى تحديد مفهوم «اللّه» حتى تكامل فى الطريقة التى نراها فى موسوعات التفسير حيث ان المفسر يبدأ من الآية الاولى من سورة الفاتحة الى سورة الناس فيفسر القرآن آية آية، لان الكثير من الآيات بمرور الزمن أصبح معناها و مدلولها اللفظى بحاجة الى إبراز أو تجربة أو تأكيد و نحو ذلك، هذا هو التفسير التجزيئى.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۱

طبعا نحن لا نعنى بالتجزيئية لمثل هذا المنهج التفسيرى أن المفسر يقطع نظره عن سائر الآيات و لا يستعين بها فى فهم الآية المطروحة للبحث، بل انه قد يستعين بآيات أخرى فى هذا المجال كما يستعين بالاحاديث و الروايات، و لكن هذه الاستعانة تتم بقصد الكشف عن المدلول اللفظى الذى تحمله الآية المطروحة للبحث، فالهدف فى كل خطوة من هذا التفسير فهم مدلول الآية التى يواجهها المفسر بكل الوسائل الممكنة أى أن الهدف «هدف تجزيئى»، لانه يقف دائما عند حدود فهم هذا الجزء أو ذاك من النص القرآنى و لا يتجاوز ذلك غالبا، و حصيلة تفسير تجزيئى للقرآن الكريم كله تساوى على أفضل تقدير مجموعة مدلولات القرآن الكريم ملحوظة بنظرة تجزيئية أيضا، أى أنه سوف نحصل على عدد كبير من المعارف و المدلولات القرآنية، و لكن فى حالة تناثر و تراكم عددى دون أن نكتشف أوجه الارتباط، دون أن نكتشف التركيب العضوى لهذه المجاميع من الافكار، دون أن نحدد فى نهاية المطاف نظرية قرآنية لكل مجال من مجالات الحياة فهناك تراكم عددى للمعلومات، الا- أن مجموع ما بين هذه المعلومات، الروابط و العلاقات ما بين هذه المعلومات التى تحولها الى مركبات نظرية و مجاميع فكرية بالامكان ان

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۲

نحضّر على أساسها نظرية القرآن لمختلف المجالات و المواضيع، أما هذا فليس مستهدفا بالذات فى منهج التفسير التجزيئى و ان كان قد يحصل احيانا، و لكن ليس هو المستهدف بالذات فى منهج التفسير التجزيئى.

و قد أدت حالة التناثر و نزعة الاتجاه التجزيئى الى ظهور التناقضات المذهبية العديدة فى الحياة الاسلامية، إذ كان يكفى أن يجد هذا المفسر او ذاك آية تبرر مذهبه لكى يعلن عنه و يجمع حوله الانصار و الاشياع كما وقع فى كثير من المسائل الكلامية كمسألة الجبر و التفويض و الاختيار مثلا.

بينما كان بالامكان تفادى كثير من هذه التناقضات لو أن المفسر التجزيئى خطا خطوة أخرى و لم يقتصر على هذا التجميع العددى كما نرى ذلك فى الاتجاه الثانى.

الاتجاه الثانى: نسميه الاتجاه التوحيدى أو الموضوعى فى التفسير.

هذا الاتجاه لا يتناول تفسير القرآن آية فآية بالطريقة التى يمارسها التفسير التجزيئى، بل يحاول القيام بالدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية او الكونية فيبين و يبحث و يدرس، مثلا عقيدة التوحيد فى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۳

القرآن او يبحث عن النبوة فى القرآن او عن المذهب الاقتصادى فى القرآن او عن سنن التاريخ فى القرآن او عن السماوات و الارض فى القرآن الكريم و هكذا.

و يستهدف التفسير التوحيدى الموضوعى من القيام بهذه الدراسات تحديد موقف نظرى للقرآن الكريم و بالتالى للرسالة الاسلامية من ذلك الموضوع من موضوعات الحياة او الكون.

و ينبغى أن يكون واضحا أن الفصل بين الاتجاهين المذكورين ليس حديا على مستوى الواقع العملى و الممارسة التاريخية لعملية

التفسير لأن الاتجاه الموضوعى بحاجة طبعا الى تحديد المدلولات التجزيئية فى الآيات التى يريد التعامل معها ضمن اطار الموضوع الذى يتبناه. كما أن الاتجاه التجزيئى قد يعثر فى اثناء الطريق بحقيقة قرآنية من حقائق الحياة الاخرى، و لكن الاتجاهين على أى حال يظلان على الرغم من ذلك مختلفين فى ملامحهما و اهدافهما و حصيلتهما الفكرية.

و مما ساعد على شيوع الاتجاه التجزيئى للتفسير و سيطرته على الساحة قرونا عديدة، النزعة الروائية و الحديثية للتفسير، حيث أن التفسير لم يكن فى الحقيقة و فى البداية الا

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۴

شعبة من الحديث بصورة او بأخرى و كان الحديث هو الاساس الوحيد تقريبا، مضافا الى بعض المعلومات اللغوية و الادبية و التاريخية، كان هو الاساس الوحيد مضافا الى بعض هذه المعلومات التى يعتمد عليها التفسير طيلة فترة طويلة من الزمن.

و من هنا لم يكن بامكان تفسير يقف عند حدود المأثور من الروايات عن الصحابة و التابعين و عن الرسول و الأئمة، الروايات التى كانت تثيرها استفهامات عقلية على الأغلب من قبل الناس، من قبل السائلين لم يكن بامكان تفسير يعتمد على هذه الروايات التى تستثار من قبل أسئلة عقلية من هذا القبيل، لم يكن بامكانه ان يتقدم خطوة أخرى و أن يحاول تركيب مدلولات القرآن و المقارنة بينها و استخراج النظرية من وراء هذه المدلولات اللفظية. التفسير كان بطبعه تفسيرا لفظيا تفسيرا للمفردات لما استبدل من المفردات و شرح بعض المستجد من المصطلحات و تطبيق بعض المفاهيم على اسباب النزول و مثل هذه العملية لم يكن بامكانها ان تقوم بدور اجتهادى مبدع، فى التوصل الى ما وراء المدلول اللغوى و اللفظى التوصل إلى الأفكار

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۵

الاساسية التى حاول القرآن الكريم ان يعطيها من خلال المتناثر من آياته الشريفة.

و يمكننا ان نقرب الى اذهانكم فكرة هذين الاتجاهين المختلفين فى تفسير القرآن الكريم بمثال من تجربتكم الفقهية، فالفقه هو بمعنى من المعانى تفسير للأحاديث الواردة عن النبى و الأئمة (ع) و نحن نعرف من البحث الفقهى ان هناك كتبا فقهية شرحت الاحاديث حديثا حديثا، تناولت كل حديث و شرحته، و تكلمت عنه دلالة او سندا او متنا، أو دلالة و سندا و متنا، على اختلاف اتجاهات الشراح. كما نجد ذلك فى شراح الكتب الاربعة و شراح الوسائل، غير ان القسم الأعظم من الكتب الفقهية و الدراسات العلمية فى هذا المجال لم تتجه هذا الاتجاه بل صنفت البحث الى مسائل وفقا لوقائع الحياة و جعلت فى اطار كل مسألة الاحاديث التى تتصل بها و فسرتها بالقدر الذى يلقى ضوءا على تلك المسألة و يؤدى الى تحديد موقف الاسلام من تلك الواقعة التى تفترضها المسألة المذكورة و هذا هو الاتجاه الموضوعى على الصعيد الفقهى، بينما ذاك هو الاتجاه التجزيئى فى تفسير الاحاديث على هذا الصعيد.

كتاب الجواهر فى الحقيقة شرح كامل شامل لروايات

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۶

الكتب الاربعة و لكنه ليس شرحا يبدأ بالكتب الأربعة رواية رواية و انما يصنف روايات الكتب الأربعة وفقا للحياة، وفقا لمواضيع الحياة، كتاب البيع، كتاب الجعالة، كتاب إحياء الموات، كتاب النكاح، ثم يجمع تحت كل عنوان من هذه العناوين الروايات التى تتصل بذلك الموضوع و يشرحها و يقارن فيما بينها يخرج بنظرية لانه لا يكتفى بأن يفهم معنى هذه الرواية فقط بصورة منفردة، و معنى هذه الرواية بصورة منفردة اذ مع هذه الحالة من الفردية لا يمكن ان يصل الى الحكم الشرعى، و إنما يصل الى الحكم الشرعى عن طريق دراسة مجموعة من الروايات التى تحمل مسئولية توضيح حكم واحد أو باب واحد من ابواب الحياة، ثم عن طريق هذه الدراسة الشاملة يستخرج نظرية واحدة التى تعطى من قبل مجموعة من الروايات لا من قبل رواية رواية.

هذا هو الاتجاه الموضوعى عن شرح الاحاديث.

و من خلال المقارنة بين الدراسات القرآنية و الدراسات الفقهية نلاحظ اختلاف مواقع الاتجاهين على الصعيدين فبينما انتشر الاتجاه الموضوعى و التوحيدى على الصعيد الفقهى و ما خطا الفقه و الفكر الفقهى خطوات فى مجال نموه و تطوره حتى ساد هذا الاتجاه جل البحوث الفقهية، نجد أن

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۷

العكس هو الصحيح على الصعيد القرآنى حيث سيطر الاتجاه التجزيئى للتفسير على الساحة عبر ثلاثة عشر قرنا تقريبا، إذ كان كل مفسر يبدأ كما بدأ سلفه فيفسر القرآن آية آية. اذن الاتجاه الموضوعى هو الذى سيطر على الساحة الفقهية بينما الاتجاه التجزيئى هو الذى سيطر على الساحة القرآنية. و أما ما ظهر على الصعيد القرآنى من دراسات تسمى بالتفسير الموضوعى احيانا من قبيل دراسات بعض المفسرين حول موضوعات معينة تتعلق بالقرآن الكريم كأسباب النزول أو القراءات أو الناسخ و المنسوخ أو مجازات القرآن فليست من التفسير التوحيدى و الموضوعى بالمعنى الذى نريده فإن هذه الدراسات ليست فى الحقيقة الا تجميعا عدديا لقضايا من التفسير التجزيئى لوحظ فيما بينها شىء من التشابه و فى كلمة اخرى ليست كلمة كل عملية تجميع أو عزل دراسة موضوعية، و إنما الدراسة الموضوعية هى التى تطرح موضوعا من موضوعات الحياة العقائدية او الاجتماعية أو الكونية و تتجه الى درسه و تقييمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده.

و اكثر ظنى ان الاتجاه التوحيدى و الموضوعى فى الفقه بامتداده و انتشاره ساعد بدرجة كبيرة على تطوير الفكر

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۸

الفقهى و إثراء الدراسات العلمية فى هذا المجال بقدر ما ساعد انتشار الاتجاه التجزيئى فى التفسير على اعاقة الفكر الاسلامى القرآنى عن النمو المكتمل و ساعد على اكتسابه حالة تشبه الحالات التكرارية حتى نكاد نقول ان قرونا من الزمن متراكمة مرت بعد تفاسير الطبرى و الرازى و الشيخ الطوسى، لم يحقق فيها الفكر الاسلامى مكاسب حقيقية جديدة، و ظل التفسير ثابتا لا يتغير إلا قليلا خلال تلك القرون على الرغم من ألوان التغير التى حفلت بها الحياة فى مختلف الميادين و سوف يتضح إن شاء اللّه تعالى من خلال المقارنة بين الاتجاهين: الاتجاه التجزيئى و الإتجاه التوحيدى، السبب و السر الذى يكمن وراء هذه الظاهرة.

لما ذا كانت الطريقة التجزيئية عاملا فى إعاقة النمو؟ و لما ذا تكون الطريقة الموضوعية و الاتجاه التوحيدى عاملا فى النمو و الابداع و توسيع نطاق حركة الاجتهاد؟ لكى نعرف لما ذا كان هذا و لما ذا كان ذاك؟ يجب أن نكوّن انطباعات أوضح و أكثر تحديدا عن هذين الاتجاهين: الإتجاه التجزيئى، و الاتجاه التوحيدى، و إنما يتضح ذلك بعد ان نشرح بعض أوجه الاختلاف بين الاتجاهين. و يمكن توضيح بعض أوجه الاختلاف بين هذين الاتّجاهين التفسيريين فيما يلى:.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۹

أولا: إن المفسر التجزيئى دوره فى التفسير على الأغلب سلبى فهو يبدأ أولا بتناول النص القرآنى المحدد آية مثلا أو مقطعا قرآنيا دون أى افتراضات او طروحات مسبقة و يحاول أن يحدد المدلول القرآنى على ضوء ما يسعفه به اللفظ مع ما يتاح له من القرائن المتصلة و المنفصلة، العملية فى طابعها العام، عملية تفسير نص معين و كأن دور النص فيها دور المتحدث و دور المفسر هو الاصغاء و التفهم و هذا ما نسميه بالدور السلبى، المفسر هنا شغله أن يستمع لكن بذهن مضىء، بفكر صاف، بروح محيطة بآداب اللغة و أساليبها، فى التعبير بمثل هذه الروح، بمثل هذه الذهنية و بمثل هذا الفكر يجلس بين يدى القرآن ليستمع فهو ذو دور سلبى و القرآن ذو دور ايجابى و القرآن يعطى حينئذ و بقدر ما يفهم هذا المفسر من مدلول اللفظ يسجل فى تفسيره.

و خلافا لذلك المفسر التوحيدى و الموضوعى فانه لا يبدأ عمله من النص بل من واقع الحياة يركز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية او الاجتماعية او الكونية و يستوعب ما اثارته تجارب الفكر الانسانى حول ذلك الموضوع من مشاكل و ما قدمه الفكر الانسانى من حلول، و ما طرحه التطبيق التاريخى من اسئلة و من نقاط فراغ ثم

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۰

يأخذ النص القرآنى، لا ليتخذ من نفسه بالنسبة الى النص دور المستمع و المسجل فحسب، بل ليطرح بين يدى النص موضوعا جاهزا مشربا بعدد كبير من الافكار و المواقف البشرية و يبدأ مع النص القرآنى حوارا سؤال و جواب، المفسر يسأل و القرآن يجيب، المفسر على ضوء الحصيلة التى استطاع ان يجمعها من خلال التجارب البشرية الناقصة من خلال اعمال الخطأ و الصواب التى مارسها المفكرون على الأرض لا بد و ان يكون قد جمع حصيلة ترتبط بذلك الموضوع ثم ينفصل عن هذه الحصيلة ليأتى و يجلس بين يدى القرآن الكريم لا يجلس ساكتا ليستمع فقط بل يجلس محاورا، يجلس سائلا و مستفهما و متدبرا فيبدأ مع النص القرآنى حوارا حول هذا الموضوع، و هو يستهدف من ذلك ان يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح و النظرية التى بامكانه أن يستلهمها من النص، من خلال مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكار و اتجاهات.

و من هنا كانت نتائج التفسير الموضوعى نتائج مرتبطة دائما بتيار التجربة البشرية لانها تمثل المعالم و الاتجاهات

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۱

القرآنية لتحديد النظرية الاسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة.

و من هنا ايضا كانت عملية التفسير الموضوعى عملية حوار مع القرآن الكريم و استنطاق له، و ليست مجرد استجابة سلبية بل استجابة فعالة و توظيفا هادفا للنص القرآنى فى سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى.

قال أمير المؤمنين (ع) و هو يتحدث عن القرآن الكريم «ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق و لكن أخبركم عنه، ألا ان فيه علم ما يأتى و الحديث عن الماضى و دواء دائكم و نظم ما بينكم» «۱»

التعبير بالاستنطاق الذى جاء فى كلام ابن القرآن (ع) أروع تعبير عن عملية التفسير الموضوعى بوصفها حوارا مع القرآن الكريم و طرحا للمشاكل الموضوعية عليه بقصد الحصول على الاجابة القرآنية عليها.

اذن فاول اوجه الاختلاف الرئيسية بين الاتجاه التجزيئى فى التفسير و الاتجاه الموضوعى فى التفسير ان الاتجاه

---

(۱) نهج البلاغة خطبة (۱۵۸).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۲

التجزيئى يكون دور المفسر فيه دورا سلبيا يستمع و يسجل بينما التفسير الموضوعى ليس هذا معناه و ليس هذا كنهه و انما وظيفة التفسير الموضوعى دائما فى كل مرحلة و فى كل عصر ان يحمل كل تراث البشرية الذى عاشه، يحمل افكار عصره، يحمل المقولات التى تعلمها فى تجربته البشرية ثم يضعها بين يدى القرآن الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ليحكم على هذه الحصيلة بما يمكن لهذا المفسر ان يفهمه ان يستشفه ان يتبينه من خلال مجموعة آياته الشريفة.

إذن فهنا يلتحم القرآن مع الواقع، يلتحم القرآن مع الحياة، لأن التفسير يبدأ من الواقع و ينتهى الى القرآن لانه يبدأ من القرآن و ينتهى بالقرآن فتكون عملية منعزلة عن الواقع منفصلة عن تراث التجربة البشرية بل هذه العملية تبدأ من الواقع و تنتهى بالقرآن بوصفه القيم و المصدر الذى يحدد على ضوئه الاتجاهات الربانية بالنسبة الى ذلك الواقع.

و من هنا تبقى للقرآن حينئذ قدرته على القيمومة دائما قدرته على العطاء المستجد دائما قدرته على الابداع لان المسألة هنا ليست مسألة تفسير لفظ فان طاقات التفسير

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۳

اللغوى ليست طاقات لا متناهية بينما القرآن الكريم دلت الروايات على انه لا ينفذ و صرح القرآن الكريم بأن كلمات اللّه لا تنفد، القرآن الكريم عطاء لا ينفد بينما التفسير اللغوى ينفد لأن اللغة لها طاقات محدودة، و ليس هناك تجدد فى المدلول اللغوى، و لو

وجد تجدد فى المدلول اللغوى فلا معنى لتحكيمه على القرآن، و لو وجدت لغة اخرى بعد القرآن لا معنى لان يفهم القرآن من خلال لغة جديدة أو مصطلحات جديدة أو ألفاظ تحمل مدلولات وضعية استهدفت بعد القرآن.

اذن هذا العطاء الذى لا ينفد للقرآن، هذه المعانى التى لا تنتهى للقرآن التى نص عليها القرآن نفسه، و نصت عليه أحاديث أهل البيت عليهم الصلاة و السلام، هذه الحالة من عدم انفاد، تكمن فى هذا المنهج، منهج التفسير الموضوعى لأننا نستنطق القرآن و ان فى القرآن علم ما كان و علم ما يأتى لأن فى القرآن دواء دائنا، لأن فى القرآن نظم ما بيننا، و لأن فى القرآن ما يمكن ان نستشف منه مواقف السماء تجاه تجربة الأرض.

فمن هنا كان التفسير الموضوعى قادرا على ان يتطور على

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۴

ان، ينمو على ان يثرى لان التجربة البشرية تثريه و الدرس القرآنى و التأمل القرآنى على ضوء التجربة البشرية يجعل هذا الثراء محمولا الى فهم اسلامى قرآنى صحيح و الحمد اللّه رب العالمين.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۵

الدرس الثانى

يوم الأربعاء ۱۸/ ج ۱/ ۱۳۹۹ ه- اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم و أفضل الصلوات على أفضل النبيين و آله الطيبين الطاهرين.

كنا بصدد توضيح اوجه الاختلاف الرئيسية بين اتجاهين اساسيين فى التفسير احدهما الاتجاه الموضوعى فى التفسير و الآخر الاتجاه التجزيئى فى التفسير: يمكن ان يستخلص مما ذكرناه بالامس من التوضيحات انه يوجد هناك فارقان بارزان رئيسيان بين هذين الاتجاهين و تنبع من هذين الفارقين فوارق أخرى ثانوية:

الفارق الرئيسى الاول هو ان التفسير الموضوعى كما شرحنا بالامس يبدأ بالواقع الخارجى بحصيلة التجربة البشرية يتزود بكل ما وصلت الى يده من حصيلة هذه التجربة و من افكارها و من مضامينها. ثم يعود الى القرآن الكريم ليحكّم القرآن الكريم و يستنطق القرآن الكريم على

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۶

حد تعبير الامام امير المؤمنين عليه الصلاة و السلام و يكون دوره دور المستنطق، دور الحوار، يكون دور المفسر دورا ايجابيا ايضا، دور المحاور، دور من يطرح المشاكل من يطرح الاسئلة، من يطرح الاستفهامات على ضوء تلك الحصيلة البشرية على ضوء تلك التجربة الثقافية التى استطاع الحصول عليها ثم يتلقى من خلال عملية الاستنطاق، من خلال عملية الحوار مع اشرف كتاب يتلقى الاجوبة من ثنايا الآيات المتفرقة.

فهنا الابتداء بالتفسير الموضوعى يكون من الواقع و يعود الى القرآن الكريم، بينما التفسير التجزيئى يبدأ من القرآن و ينتهى الى القرآن ليس فيه حركة من الواقع الى القرآن و من القرآن الى الواقع و انما يبدأ بالقرآن و ينتهى بالقرآن، دور المفسر هنا دور سلبى كما شرحنا بالأمس «۱» يخلى ذهنه من اى سوابق من اى طروحات يجلس جلوس المستمع، لا جلوس المحاور لا جلوس المستفهم بل جلوس من يستمع و يسجل ما ينطبق فى ذهنه نتيجة هذا الاستماع.

هذا هو الأمر الأول الذى شرحناه بالأمس «۱».

---

(۱) الدرس الأول.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۷

و الأمر الثانى فى المقام هو ان التفسير الموضوعى يتجاوز التفسير التجزيئى خطوة لأن التفسير التجزيئى يكتفى بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية الكريمة، بينما التفسير الموضوعى يطمح الى اكثر من ذلك يتطلع الى ما هو اوسع من ذلك يحاول ان يستحصل اوجه الارتباط بين هذه المدلولات التفصيلية يحاول ان يصل الى مركب نظرى قرآنى و هذا المركب النظرى القرآنى يحتل فى اطاره كل واحد من تلك المدلولات التفصيلية، موقعه المناسب و هذا ما نسميه بلغة اليوم بالنظرية يصل الى نظرية قرآنية عن النبوة، نظرية قرآنية عن المذهب الاقتصادى نظرية قرآنية عن سنن التاريخ و هكذا عن السموات و الأرض فهنا التفسير الموضوعى يتقدم خطوة على التفسير التجزيئى بقصد الحصول على هذا المركب النظرى الذى لا بد ان يكون معبرا عن موقف قرآن تجاه موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية. هذان فارقان رئيسيان بين التفسير الموضوعى فى القرآن، الاتجاه الموضوعى فى التفسير و الاتجاه التجزيئى فى التفسير و نحن ذكرنا بأن البحث الفقهى اتجه اتجاها موضوعيا بينما التفسير لم يتجه على الاكثر اتجاها موضوعيا بل كان اتجاها تجزيئيا.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۸

اصطلاح الموضوعية هنا على ضوء الأمر الأول، بمعنى انه يبدأ من الموضوع، من الواقع الخارجى، من الشىء الخارجى و يعود الى القرآن الكريم و يعبر عن التفسير بأنه موضوعى على ضوء الأمر الأول باعتبار انه يبدأ من الموضوع الخارجى و ينتهى الى القرآن الكريم. و توحيدى باعتبار انه يوحد بين التجربة البشرية و بين القرآن الكريم لا بمعنى انه يحمل التجربة البشرية على القرآن، لا بمعنى انه يخضع القرآن للتجربة البشرية بل بمعنى انه يوحد بينهما فى سياق بحث واحد لكى يستخرج نتيجة هذا السياق الموحد من البحث، يستخرج المفهوم القرآنى الذى يمكن ان يحدد موقف الاسلام تجاه هذه التجربة او المقولة الفكرية التى ادخلها فى سياق بحثه. اذن التفسير موضوعى و توحيدى على اساس الأمر الأول، على اساس الأمر الثانى ايضا كون التفسير موضوعيا باعتبار انه يختار مجموعة من الآيات تشترك فى موضوع واحد. و هو توحيدى باعتبار انه يوحد بين هذه الآيات، يوحد بين مدلولات هذه الآيات ضمن مركب نظرى واحد اذن اصطلاح الموضوعية و اصطلاح التوحيدية فى التفسير ينسجم مع كل من هذين الفارقين بما بيناه.

و لا نقصد بالموضوعية هنا الموضوعية فى مقابل التحيز

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۹

مثلا ما يقال عادة من ان هذا البحث موضوعى فى مقابل ان يكون بحثا متحيزا أو منحازا! طبعا الموضوعية بذلك المعنى مرفوضة فى التفسير التجزيئى و التفسير الموضوعى معا.

ليست الموضوعية بذلك المعنى من مزايا التفسير الموضوعى فى مقابل التفسير التجزيئى الموضوعية بذلك المعنى عبارة عن الامانة فى البحث، عبارة عن الاستقامة على جادة البحث، تلك الموضوعية مفترضة فى كلا الاتجاهين و انما الموضوعية التى نجعلها فى مقابل التجزيئية غير تلك الموضوعية التى تقابل الذاتية و التحيز، الموضوعية هنا بمعنى ان يبدأ من الموضوع و ينتهى الى القرآن هذا الأمر الأول. الأمر الثانى ان يختار مجموعة من الآيات تشترك فى موضوع واحد يقوم بعملية توحيد بين مدلولاتها. من أجل ان يستخرج نظرية قرآنية شاملة بالنسبة الى ذلك الموضوع.

ان الأبحاث الفقهية سارت فى الاتجاه الموضوعى بينما الابحاث التفسيرية سارت فى الاتجاه التجزيئى طبعا لم نكن نعنى من ذلك ايضا ان البحث الفقهى استنفد طاقة الاتجاه الموضوعى، البحث الفقهى سار فى الاتجاه الموضوعى و لكنه لم يستنفد ايضا طاقة الاتجاه الموضوعى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۳۰

و البحث الفقهى اليوم مدعو ايضا الى ان يستنفد طاقة هذا الاتجاه الموضوعى افقيا و عموديا اما افقيا لا بد و أن يستنفد طاقة الاتجاه

الموضوعى باعتبار ان الاتجاه الموضوعى كما قلنا عبارة عن ان يبدأ الانسان من الواقع و ينتهى الى الشريعة.

هذا كان ديدن العلماء ديدن الفقهاء كانوا بالواقع، وقائع الحياة تكاد تنعكس عليهم على شكل جعالة، مضاربة، مزارعة، مساقات، نكاح كانت هذه الحوادث و هذه الوقائع تنعكس عليهم ثم يأخذون هذا الواقع و يأتون الى مصادر الشريعة ليستنبطوا الحكم من مصادر الشريعة هذا اتجاه موضوعى لانه يبدأ بالواقع و ينتهى الى الشريعة فى مقام التعرف على حكم هذا الواقع.

لكن هنا لا بد ان يمتد الفقه افقيا على هذه الساحة اكثر لان العلماء الذين ساهموا فى تكوين هذا الاتجاه الموضوعى عبر قرون متعددة كانوا حريصين على ان يأخذوا هذه الوقائع و يحولوها دائما الى الشريعة لكى يستنبطوا احكام الشريعة المرتبطة بتلك الوقائع و لكن وقائع الحياة تتجدد و تتكاثر باستمرار و تتولد ميادين جديدة من وقائع الحياة، لا بد لهذه العملية من النمو باستمرار من ان تنمو من ان تحول كل ما يستجد من وقائع الحياة، من ان تبدأ

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۳۱

من الواقع لكن ذاك الواقع الساكن المحدود الذى كان يعيشه الشيخ الطوسى او الذى كان يعيشه المحقق الحلى، ذاك الواقع كان يفى بحاجات عصر الشيخ الطوسى، كان يفى بحاجات عصر المحقق الحلى. لكن كم من باب و باب من أبواب الحياة فتحت بالتدريج لا بد من عرض هذه الأبواب على الشريعة إذا أردنا أن يستمر الاتجاه الموضوعى فى البحث الفقهى، لا بد و أن نمدده أفقيا على مستوى ما استجد من أبواب الحياة، كم من باب من أبواب الحياة استجد لم يكن معروفا سابقا: التجارة و المضاربة و المزارعة و المساقات كانت تمثل السوق قبل ألف سنة أو قبل ثمانمائة سنة و لكن اليوم السوق المعاملات العلاقات الاقتصادية أوسع من هذا النطاق و أكثر تشابكا من هذا النطاق، اذن لا بد للفقه من أن يكون كما كان على يد هؤلاء العلماء الذين كانوا حريصين على ان يعكسوا كل ما يستجد من وقائع الحياة على الشريعة ليأخذوا حكم الشريعة. لا بد أيضا من ان هذه العملية تسير افقيا كما سارت افقيا فى البداية. هذا من الناحية الأفقية.

من الناحية العمودية ايضا لا بد من ان يتوغل هذا الاتجاه الموضوعى فى الفقه، لا بد و ان يتوغل، لا بد و ان ينفذ عموديا، لا بد و ان يصل الى النظريات الاساسية، لا

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۳۲

بد و ان يكتفى بالبناءات العلوية و بالتشريعات التفصيلية، لا بد و ان ينفذ من خلال هذه البناءات العلوية الى النظريات الأساسية التى تمثل وجهة نظر الاسلام لأننا نعلم ان كل مجموعة من التشريعات فى كل باب من أبواب الحياة ترتبط بنظريات أساسية، ترتبط بتطورات رئيسية، أحكام الاسلام، تشريعات الاسلام، فى مجال الحياة الاقتصادية ترتبط بنظرية الإسلام بالمذهب الاقتصادى فى الإسلام، احكام الإسلام فى مجال النكاح و الطلاق و الزواج و علاقات المرأة مع الرجل، ترتبط بنظرياته الاساسية عن المرأة و الرجل و دور المرأة و الرجل. هذه النظريات الأساسية عن المرأة و الرجل و دور المرأة و الرجل. هذه النظريات الأساسية التى تشكل القواعد النظرية لهذه الأبنية العلوية، لا بد ايضا من التوغل إليها، لا ينبغى أن ينظر الى ذلك بوصفه عملا منفصلا عن الفقه، بوصفه ترفا، بوصفه نوع تفنن، بوصفه نوع أدب ليس كذلك بل هذا ضرورة من ضرورات الفقه، لا بد من النفاذ لا بد من التوغل عموديا أيضا الى تلك النظريات و محاولة اكتشافها بقدر الطاقة البشرية.

الآن نعود الى التفسير بما ذكرناه من اوجه الاختلاف بين التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى، تبينت عدة افضليات تدعو الى تفضيل المنهج الموضوعى فى التفسير

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۳۳

على المنهج التجزيئى فى التفسير فان المنهج الموضوعى فى التفسير على ضوء ما ذكرناه يكون اوسع أفقا و أرحب و أكثر عطاء باعتبار انه يتقدم خطوة على التفسير التجزيئى كما انه قادر على التجدد باستمرار، على التطور و الابداع باستمرار، باعتبار انه التجربة

البشرية تغنى هذا التفسير بما تقدمه من مواد.

ثم هذه المواد تطرح بين يدى القرآن الكريم لكى يستطيع هذا المفسر أن يتحصل الأجوبة من القرآن الكريم و هذا هو الطريق الوحيد للحصول على النظريات الأساسية للإسلام و للقرآن تجاه موضوعات الحياة المختلفة.

و قد يقال بأنه ما الضرورة الى تحصيل هذه النظريات الاساسية؟ ما الضرورة الى ان نفهم نظرية الاسلام فى النبوة مثلا بشكل عام او ان نفهم نظرية الاسلام فى سنن التاريخ و فى التغير الاجتماعى بشكل عام؟ ان نفهم نظرية الاسلام فى الاقتصاد الاسلامى بشكل عام؟ ان نفهم مفهوم الاسلام عن السماوات و الارض؟ ما الضرورة الى ان ندرس و نحدد هذه النظريات؟ فاننا نجد بان النبى (ص) لم يعط هذه النظريات على شكل نظريات محدودة و بصيغ عامة، و انما اعطى القرآن بهذا الترتيب للمسلمين.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۳۴

ما الضرورة الى ان نتعب انفسنا فى سبيل تحصيل هذه النظريات و تحديدها بعد ان لاحظنا ان النبى (ص) اكتفى باعطاء هذا المجموع، هذا الشكل المتراكم بهذا الشكل؟

ما الضرورة الى ان نستحصل هذه النظريات؟

الحقيقة بأن هناك اليوم ضرورة اساسية لتحديد هذه النظريات و لتحصيل هذه النظريات و لا يمكن ان يفترض الاستغناء عن ذلك. النبى (ص) كان يعطى هذه النظريات و لكن من خلال التطبيق من خلال المناخ القرآنى العام الذى كان يبينه فى الحياة الاسلامية، و كان كل فرد مسلم فى اطار هذا المناخ، يفهم هذه النظرية و لو فهما اجماليا ارتكازيا لان المناخ و الاطار الروحى و الاجتماعى و الفكرى و التربوى الذى وصفه النبى (ص) كان قادرا على ان يعطى النظرة السليمة، و القدرة السليمة على تقييم المواقع و المواقف و الاحداث اذا اردنا ان نقرب هذه الفكرة نقول:

حالة بين حالتين: حالة انسان يعيش داخل عرف لغة من اللغات، و انسان يريد ان يفهم بان ابناء هذه اللغة، ابناء هذا العرف، كيف تنتقل اذهانهم الى المعانى من الالفاظ؟ و كيف يحددون المعانى من الألفاظ؟

هنا توجد حالتان: احداهما: ان نأتى بهذا الانسان

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۳۵

و نجعله يعيش فى اعماق هذا العرف، فى اعماق هذه اللغة إذا جعلته يعيش فى اعماق هذا العرف و فى اعماق هذه اللغة و استمرت به الحياة فى اطار هذا العرف و هذه اللغة فترة طويلة من الزمن سوف يتكون لديه الاطار اللغوى، و الاطار العرفى الذى يستطيع من خلاله ان يتحرك ذهنه وفقا لما يريده العرف و اللغة منه لأن مدلولات اللغة و قواعد اللغة تكون موجودة وجودا إجماليا ارتكازيا فى ذهنه، إلفظة السليمة، التقييم السليم للكلمة الصحيحة، و تمييزها عن الكلمة غير الصحيحة تكون موجودة عنده باعتبار انه عاش عمق اللغة، عاش وجدانها، عاش اطارها، عاش تطبيقها بينما اذا كان الانسان خارج مناخ تلك اللغة، خارج عرف تلك اللغة عرفها و أردت أن تنشئ فى ذهنه القدرة على التميز اللغوى الصحيح، كيف تستطيع ان تنشئ فى ذهنه القدرة على التميز اللغوى الصحيح؟ يكون ذلك عن طريق الرجوع الى قواعد تلك اللغة، حينئذ لا بد ان ترجع الى ذلك العرف الذى تربى فى ذلك الانسان ترجع الى ذلك العرف لكى تستنتج منه القواعد العامة و النظريات العامة نفس ما وقع بالنسبة الى علوم العربية كيف أن ابن اللغة لم يكن بحاجة الى أن يتعلم

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۳۶

علوم العرب فى البداية؟ لأنه كان يعيش فى أعماق عرف اللغة، لكن بعد أن ابتعد عن تلك الأعماق بعد ان اختلفت الأجواء بعد ان ضعفت اللغة، بعد أن تراكمت لغات أخرى اندست الى داخل حياة هؤلاء، بدأ هؤلاء يحتاجون الى علم اللغة، بدأ هؤلاء يحتاجون الى نظريات اللغة لأن الواقع لا يسعفهم بنظرة سليمة فلا بد اذن من علم لا بد من نظريات لكى يفكرون و لكى يناقشون و لكى يتصرفون لغويا وفقا لتلك القواعد و النظريات.

هذا المثال مثال تقريبى لاجل توضيح الفكرة، اذن الصحابة الذين عاشوا فى كنف الرسول الاعظم (ص).

اذا كانوا لم يتلقوا النظريات بصيغ عامة فقد تلقوها تلقيا اجماليا ارتكازيا، انتقشت فى اذهانهم و سرت فى افكارهم، كان المناخ العام الاطار الاجتماعى و الروحى و الفكرى الذى يعيشونه مساعدا على تفهم هذه النظريات و لو تفهما اجماليا و على توليد المقياس الصحيح فى مقام التقييم. اما حيث لا يوجد ذلك المناخ، اما حيث لا يوجد ذلك الاطار اذن تكون الحاجة الى النظريات يعنى الحاجة الى دراسة نظريات القرآن و الاسلام، حاجة حقيقية ملحة خصوصا مع بروز النظريات الحديثة من خلال التفاعل بين

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۳۷

انسان العالم الاسلامى و انسان العالم الغربى بكل ما يملك من رصيد عظيم و من ثقافة متنوعة فى مختلف مجالات المعرفة البشرية حينما وقع هذا التفاعل بين انسان العالم الاسلامى و انسان العالم الغربى وجد الانسان المسلم نفسه امام نظريات كثيرة فى مختلف مجالات الحياة فكان لا بد لكى يحدد موقف الاسلام من هذه النظريات، كان لا بد و ان يستنطق نصوص الاسلام، و يتوغل فى أعماق هذه النصوص لكى يصل الى مواقف الاسلام الحقيقية سلبا و ايجابا لكى يكتشف نظريات الاسلام التى تعالج نفس هذه المواضيع التى عالجتها التجارب البشرية الذكية فى مختلف مجالات الحياة.

اذن فالتفسير الموضوعى فى المقام هو افضل الاتجاهين فى التفسير الا ان هذا لا ينبغى ان يكون المقصود منه الاستغناء عن التفسير التجزيئى، هذه الافضلية لا تعنى استبدال اتجاه باتجاه و طرح التفسير التجزيئى رأسا و الأخذ بالتفسير الموضوعى، و إنما إضافة اتجاه الى اتجاه، لان التفسير الموضوعى، ليس لا خطوة الى الامام بالنسبة الى التفسير التجزيئى و لا معنى للاستغناء عن التفسير التجزيئى باتجاه الموضوعى. اذن فالمسألة هنا

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۳۸

ليست مسألة استبدال و انما هى مسألة ضم الاتجاه الموضوعى فى التفسير الى الاتجاه التجزيئى فى التفسير، يعنى افتراض خطوتين، خطوة هى التفسير التجزيئى و خطوة أخرى هى التفسير الموضوعى.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۳۹

الدرس الثالث

السنن التاريخية فى القرآن الكريم يوم الثلاثاء ۲۵/ ج ۱/ ۱۳۹۹ ه-

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۴۱

اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم و افضل الصلوات على سيد الخلق الميامين من آله الطاهرين محمد و على الهداة استعرضنا فيما سبق المبررات الموضوعية و الفكرية لايثار التفسير الموضوعى التوحيدى على التفسير التجزيئى التقليدى باعتبار أن التفسير الموضوعى أغنى عطاء و اكثر قدرة على التحرك و الابداع و على تحديد المواقف النظرية الشاملة للقرآن الكريم.

الآن أود أن أذكر مبررا عمليا و هو ان شوط التفسير التقليدى شوط طويل جدا لانه يبدأ من الفاتحة و ينتهى بسورة الناس و هذا الشوط الطويل بحاجة من أجل اكماله الى فترة زمنية طويلة أيضا. و لهذا لم يحظ من علماء الاسلام الاعلام الا عدد محدود بهذا الشرف العظيم، شرف مرافقة الكتاب الكريم من بدايته الى نهايته. و نحن

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۴۲

نشعر بأن هذه الايام المحدودة المتبقية لا تفى بهذا الشوط الطويل و لهذا كان من الافضل اختيار أشواط أقصر لكى نستطيع ان نكمل بضعة أشواط من هذه الجولات فى رحاب القرآن الكريم.

من هنا سوف نختار موضوعات متعددة فى القرآن الكريم و نستعرض ما يتعلق بذلك الموضوع و ما يمكن أن يلقى عليه القرآن من

أضواء. و سوف نحاول أن يكون البحث مضغوطا بقدر الامكان لكى نستطيع أن نصل الى عدد من المواضيع المهمة. فنقتصر على الافكار الاساسية و المبادئ الرئيسية بالنسبة الى كل موضوع و سوف أحرص على أن لا يستوعب كل موضوع إلا عددا محدودا من المحاضرات.

أرجو أن يكون بين خمس الى عشر محاضرات لكى نستطيع أن نستوعب مواضيع متنوعة من القرآن الكريم ... الآن نوجه هذا السؤال: ما هو الموضوع الاول الذى سوف نبدأ به الآن ان شاء اللّه تعالى؟

الموضوع الاول الذى سوف نختاره للبحث هو «سنن التاريخ فى القرآن الكريم»! هل للتاريخ البشرى سنن فى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۴۳

مفهوم القرآن الكريم؟ هل له قوانين تتحكم فى مسيرته و فى حركته و تطوره؟ ما هى هذه السنن التى تتحكم فى التاريخ البشرى؟ كيف بدأ التاريخ البشرى؟ كيف نما؟

كيف تطور؟ ما هى العوامل الاساسية فى نظرية التاريخ؟

ما هو دور الانسان فى عملية التاريخ؟ ما هو موقع السماء أو النبوة على الساحة البشرية؟ هذا كله ما سوف ندرسه تحت هذا العنوان، عنوان سنن التاريخ فى القرآن الكريم، و هذا الجانب من القرآن الكريم قد بحث الجزء الاعظم من مواده و مفرداته القرآنية لكن من زوايا مختلفة، فمثلا- قصص الانبياء (ع) التى تمثل الجزء الاعظم من هذه المادة القرآنية. فحصت قصص الانبياء من زاوية تاريخية تناولها المؤرخون و استعرضوا الحوادث و الوقائع التى تكلم عنها القرآن الكريم. و حينما لاحظوا الفراغات التى تركها هذا الكتاب العزيز، حاولوا ان يملئوا هذه الفراغات بالروايات و الاحاديث، او بما هو المأثور عن أديان سابقة، أو بالأساطير و الخرافات فتكونت سجلات ذات طابع تاريخى لتنظيم هذه المادة القرآنية، كذلك أيضا بحثت هذه المادة القرآنية من زاوية أخرى، من زاوية منهج القصة فى القرآن، مدى ما يتمتع به هذا المنهج من أصالة و قوة و إبداع، ما

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۴۴

تزخر به القصة القرآنية من حيوية، من حركة، من أحداث، هذه أيضا زاوية اخرى للبحث فى هذه المادة تضاف الى زوايا عديدة. نحن الآن نريد ان نتناول هذه المادة القرآنية من زاوية أخرى، من زاوية مقدار ما تلقى هذه المادة من أضواء على سنن التاريخ، على تلك الضوابط و القوانين و النواميس التى تتحكم فى عملية التاريخ اذا كان يوجد فى مفهوم القرآن شىء من هذه النواميس و الضوابط و القوانين.

الساحة التاريخية كأى ساحة أخرى زاخرة بمجموعة من الظواهر كما ان الساحة الفلكية، الساحة الفيزيائية، الساحة النباتية زاخرة بمجموعة من الظواهر، كذلك الساحة التاريخية بالمعنى الذى سوف يفصل من التاريخ ان شاء اللّه بعد ذلك، زاخرة بمجموعة من الظواهر، كما ان الظواهر فى كل ساحة أخرى من الساحات لها سنن و لها نواميس، من حقنا أن نتساءل: هل ان الظواهر التى تزخر بها الساحة التاريخية، هل هذه الظواهر ايضا ذات سنن و ذات نواميس؟ و ما موقف القرآن الكريم من هذه السنن و النواميس؟ و ما هو عطاؤه فى مقام تأكيد هذا المفهوم ايجابا أو سلبا، اجمالا أو تفصيلا؟

و قد يخيل الى بعض الاشخاص، اننا لا ينبغى ان

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۴۵

نترقب من القرآن الكريم أن يتحدث عن سنن التاريخ، لان البحث فى سنن التاريخ بحث علمى كالبحث فى سنن الطبيعة و الذرة و النبات. و القرآن الكريم لم ينزل كتاب اكتشاف بل كتاب هداية، القرآن الكريم لم يكن كتابا مدرسيا، لم ينزل على رسول اللّه (ص) بوصفه معلما بالمعنى التقليدى من المعلم لكى يدرس مجموعة من المتخصصين و المثقفين، و إنما نزل هذا الكتاب عليه لكى يخرج الناس من الظلمات الى النور، من ظلمات الجاهلية الى نور الهداية و الاسلام. اذن فهو كتاب هداية و تغيير و ليس كتاب اكتشاف.

و من هنا لا نترقب من القرآن الكريم ان يكشف لنا الحقائق و المبادئ لعامة للعلوم الأخرى و لا نترقب من القرآن الكريم ان يتحدث لنا عن مبادئ الفيزياء أو الكيمياء أو النبات أو الحيوان. صحيح أن فى القرآن الكريم إشارات الى كل ذلك، و لكنها إشارات بالحدود التى تؤكد على البعد الإلهى للقرآن، و بقدر ما يمكن أن يثبت العمق الربانى لهذا الكتاب الذى أحاط بالماضى و الحاضر و المستقبل و الذى استطاع أن يسبق التجربة البشرية مئات السنين فى مقام الكشف عن حقائق متفرقة من الميادين العلمية المتفرقة، لكن

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۴۶

هذه الإشارات القرآنية انما هى لأجل غرض علمى من هذا القبيل لا من أجل تعليم الفيزياء و الكيمياء. القرآن لم يطرح نفسه بديلا عن قدرة الانسان الخلاقة، عن مواهبه و قابلياته فى مقام الكدح، الكدح فى كل ميادين الحياة بما فى ذلك ميدان المعرفة و التجربة، القرآن لم يطرح نفسه بديلا عن هذه الميادين، و إنما طرح نفسه طاقة روحية موجهة للانسان، مفجرة طاقاته، محركة له فى المسار الصحيح. فإذا صار القرآن الكريم كتاب هداية و توجيه و ليس كتاب اكتشاف و علم فليس من الطبيعى أن نترقب منه استعراض مبادئ عامة لكل واحد من هذه العلوم التى يقوم الفهم البشرى بمهمة التوغل فى اكتشاف نواميسها و قوانينها و ضوابطها. لما ذا ننتظر من القرآن الكريم أن يعطينا عموميات، أن يعطينا مواقف، أن يبلور له مفهوما علميا فى سنن التاريخ على هذه الساحة من ساحات الكون بينما ليس للقرآن مثل ذلك على الساحات الأخرى، و لا حرج على القرآن فى ان لا يكون له ذلك على الساحات الأخرى؟ لأن القرآن لو صار فى مقام استعراض هذه القوانين، و كشف هذه الحقائق لكان بذلك يتحول الى كتاب آخر نوعيا، يتحول من كتاب للبشرية جمعاء الى كتاب للمتخصصين يدرس فى الحلقات الخاصة. قد

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۴۷

يلاحظ بهذا الشكل على اختيار هذا الموضوع الا ان هذه الملاحظة رغم ان الروح العامة فيها صحيحة بمعنى أن القرآن الكريم ليس كتاب اكتشاف، و لم يطرح نفسه ليجمد فى الانسان طاقات النمو و الابداع و البحث، و إنما هو كتاب هداية، و لكن مع هذا يوجد فرق جوهرى بين الساحة التاريخية و بقية ساحات الكون، هذا الفرق الجوهرى يجعل من هذه الساحة و من سنن هذه الساحة أمرا مرتبطا أشد الارتباط بوظيفة القرآن ككتاب هداية، خلافا لبقية الساحات الكونية و الميادين الأخرى للمعرفة البشرية، و ذلك أن القرآن الكريم كتاب هداية و عملية تغيير هذه العملية التى عبر عنها فى القرآن الكريم بأنها إخراج للناس من الظلمات الى النور.

و عملية التغيير هذه فيها جانبان: «الجانب الأول» جانب المحتوى و المضمون ما تدعو اليه هذه العملية التغييرية من أحكام، من مناهج، ما تتبناه من تشريعات، هذا الجانب من عملية التغيير جانب ربانى، جانب إلهى سماوى، هذا الجانب يمثل شريعة اللّه سبحانه و تعالى التى نزلت على النبى محمد (ص) و تحدث بنفس نزولها عليه كل سنن التاريخ المادية لأن هذه الشريعة كانت اكبر من الجو الذى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۴۸

نزلت عليه، و من البيئة التى حلت فيها، و من الفرد الذى كلف بأن يقوم بأعباء تبليغها. هذا الجانب من عملية التغيير، جانب المحتوى و المضمون، جانب التشريعات و الاحكام و المناهج التى تدعو اليها هذه العملية، هذا الجانب جانب ربانى إلهى، لكن هناك جانب آخر لعملية التغيير التى مارسها النبى (ص) و أصحابه الاطهار، هذه العملية حينما تلحظ بوصفها عملية متجسدة فى جماعة من الناس و هم النبى و الصحابة، بوصفها عملية اجتماعية متجسدة فى هذه الصفوة، و بوصفها عملية قد واجهت تيارات اجتماعية مختلفة من حولها و اشتبكت معها فى ألوان من الصراع و النزاع العقائدى و الاجتماعى و السياسى و العسكرى، حينما تؤخذ هذه العملية التغييرية بوصفها تجسيدا بشريا واقعا على الساحة التاريخية مترابطا مع الجماعات و التيارات الاخرى التى تكتنف هذا التجسيد و التى تؤيد أو تقاوم هذا التجسيد، حينما تؤخذ العملية من هذه الزاوية تكون عملية بشرية، يكون هؤلاء اناسا كسائر الناس تتحكم فيهم الى درجة كبيرة سنن التاريخ التى تتحكم فى بقية الجماعات و فى بقية الفئات على مر الزمن.

اذن عملية التغيير التى مارسها القرآن و مارسها النبى (ص)

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۴۹

لها جانبان من حيث صلتها بالشريعة و بالوحى، هى ربانية، هى فوق التاريخ و لكن من حيث كونها عملا قائما على الساحة التاريخية، من حيث كونها جهدا بشريا يقاوم جهودا بشرية اخرى، من هذه الناحية يعتبر هذا عملا تاريخيا تحكمه سنن التاريخ و تتحكم فيه الضوابط التى وضعها اللّه سبحانه و تعالى لتنظيم ظواهر الكون فى هذه الساحة المسماة بالساحة التاريخية و لهذا نرى ان القرآن الكريم حينما يتحدث عن الزاوية الثانية، عن الجانب الثانى من عملية التغيير يتحدث عن أناس، يتحدث عن بشر، لا يتحدث عن رسالة السماء، بل يتحدث عنهم بوصفهم بشرا من البشر تتحكم فيهم القوانين التى تتحكم فى الآخرين حينما أراد أن يتحدث عن انتصار المسلمين فى غزوة أحد بعد ان أحرزوا ذلك الانتصار الحاسم فى غزوة بدر، بعد ذلك انكسروا و خسروا المعركة فى غزوة أحد، تحدث القرآن الكريم عن هذه الخسارة، ما ذا قال؟

هل قال بأن رسالة السماء خسرت المعركة بعد ان كانت ربحت المعركة؟ لا .. لأن رسالة السماء فوق مقاييس النصر و الهزيمة بالمعنى المادى، رسالة السماء لا تهزم، و لن تهزم أبدا، و لكن الذى يهزم هو الانسان، الانسان حتى و لو

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۵۰

كان هذا الانسان مجسدا لرسالة السماء، لأن هذا الانسان تتحكم فيه سنن التاريخ، ما ذا قال القرآن؟ قال وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ «۱». هنا أخذ يتكلم عنهم بوصفهم أناسا قال بأن هذه القضية هى فى الحقيقة ترتبط بسنن التاريخ، المسلمون انتصروا فى بدر حينما كانت الشروط الموضوعية للنصر بحسب منطق سنن التاريخ تفرض أن ينتصروا، و خسروا المعركة فى أحد حينما كانت الشروط الموضوعية فى معركة أحد تفرض عليهم أن يخسروا المعركة. إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ «۲» لا تتخيلوا أن النصر حق إلهى لكم، و إنما النصر حق طبيعى لكم بقدر ما يمكن أن توفروا الشروط الموضوعية لهذا النصر بحسب منطق سنن التاريخ التى وضعها اللّه سبحانه و تعالى كونيا لا تشريعيا، و حيث أنكم فى غزوة أحد لم تتوفر لديكم هذه الشروط و لهذا خسرتم المعركة. فالكلام هنا كلام مع بشر، مع عملية بشرية لا مع رسالة ربانية. بلّ يذهب القرآن الى اكثر من ذلك، يهدد هذه الجماعة البشرية التى كانت انظف و اطهر جماعة على مسرح

---

(۱) سورة آل عمران: الآية (۱۴۰).

(۲) نفس الآية السابقة.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۵۱

التاريخ، يهددهم بأنهم إذا لم يقوموا بدورهم التاريخى، و إذا لم يكونوا على مستوى مسئولية رسالة السماء فإن هذا لا يعنى ان تتعطل رسالة السماء، و لا يعنى أن تسكت سنن التاريخ عنهم بل انهم سوف يستبدلون، سنن التاريخ سوف تعزلهم و سوف تأتى بأمم أخرى قد تهيأت لها الظروف الموضوعية الأفضل لكى تلعب هذا الدور، لكى تكون شهيدة على الناس إذا لم تتهيأ لهذه الأمة الظروف الموضوعية لهذه الشهادة إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً، وَ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَ لا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «۱» يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ .. «۲» إذن فالقرآن الكريم إنما يتحدث مع الجانب الثانى من عملية التغيير، يتحدث مع البشر فى ضعفه و قوته، فى استقامته و انحرافه، فى توفر الشروط الموضوعية له و عدم توفرها.

من هنا يظهر بان البحث فى سنن التاريخ مرتبط ارتباطا

---

(۱) سورة التوبة: الآية (۳۹).

(۲) سورة المائدة: الآية (۵۴).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۵۲

عضويا شديدا بكتاب اللّه بوصفه كتاب هدى، بوصفه اخراج للناس من الظلمات الى النور لأن الجانب العملى من هذه العملية، الجانب البشرى و التطبيقى من جانب هذه العملية جانب يخضع لسنن التاريخ، فلا بد اذن ان نستلهم، و لا بد اذن ان يكون للقرآن الكريم تصورات و عطاءات فى هذا المجال لتكوين اطار عام للنظرة القرآنية و الاسلامية عن سنن التاريخ.

اذن هذا لا يشبه سنن الفيزياء و الكيمياء و الفلك و الحيوان و النبات، تلك السنن ليست داخلة فى نطاق التأثير المباشر على عملية التاريخ و لكن هذه السنن داخلة فى نطاق التأثير المباشر على عملية التغيير. باعتبار الجانب الثانى، اذن لا بد من شرح ذلك و لا بد ان نترقب من القرآن اعطاء عموميات فى ذلك، نعم لا ينبغى ان نترقب من القرآن ان يتحول ايضا الى كتاب مدرسى فى علم التاريخ و سنن التاريخ بحيث يستوعب كل التفاصيل و كل الجزئيات حتى ما لا يكون له دخل فى منطق عملية التغيير التى مارسها النبى (ص) و انما القرآن الكريم يحتفظ دائما بوصفه الاساسى و الرئيسى، يحتفظ بوصفه كتاب هداية، كتاب اخراج للناس من الظلمات الى النور، و فى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۵۳

حدود هذه المهمات الكبيرة العظيمة التى مارسها فى صدور هذه المهمة يعطى مقولاته على الساحة التاريخية و يشرح سنن التاريخ بالقدر الذى يلقى ضوءا على عملية التغيير التى مارسها النبى (ص) بقدر ما يكون موجها و هاديا و خالقا لتبصّر موضوعى للأحداث و الظروف و الشروط. و نحن فى القرآن الكريم نلاحظ أن هذه الحقيقة حقيقة ان للتاريخ سننا ان الساحة التاريخية عامرة بسنن كما عمرت كل الساحات الكونية الأخرى بسنن. هذه الحقيقة نراها واضحة فى القرآن الكريم، فقد بيّنت هذه الحقيقة بأشكال مختلفة و بأساليب متعددة فى عدد كثير من الآيات بيّنت على مستوى اعطاء نفس هذا المفهوم بالنحو الكلى، ان للتاريخ سننا و إنّ للتاريخ قوانين، و بيّنت هذه الحقيقة فى آيات اخرى على مستوى عرض هذه القوانين و بيان مصاديق و نماذج و أمثلة من هذه القوانين التى تتحكم فى المسيرة التاريخية للانسان و بيّنت فى سياق آخر على نحو تمتزج فيه النظرية أى بيّن المفهوم الكلى و بيّن فى إطار مصداقه، و فى آيات اخرى حصل الحث الأكيد على الاستفادة من الحوادث الماضية و شحذ الهمم لايجاد عملية استقراء للتاريخ، و عملية الاستقراء للحوادث كما تعلمون هى عملية علمية بطبيعتها، تريد أن تفتش عن

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۵۴

سنة، عن قانون، و إلا فلا معنى للاستقراء من دون افتراض سنة أو قانون، إذن هناك السنة متعددة درجت عليها الآيات القرآنية فى مقام توضيح هذه الحقيقة و بلورتها.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۵۵

الدرس الرابع

الأربعاء ۲۶/ ج ۱/ ۱۳۹۹ اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه رب العالمين و صلى اللّه على محمد و آله الميامين الطاهرين.

قلنا ان هذه الفكرة القرآنية عن سنن التاريخ، بلورت فى عدد كثير من الآيات باشكال مختلفة و ألسنة متعددة فى بعض هذه الآيات اعطيت الفكرة بصيغتها الكلية، و فى بعض الآيات اعطيت على مستوى التطبيق على مصاديق و نماذج، فى بعض الآيات وقع الحث على الاستقراء و على الفحص الاستقرائى للشواهد التاريخية، من اجل الوصول الى السنة التاريخية.

و هناك عدد كثير من الآيات الكريمة استعرضت هذه الفكرة بشكل و آخر، و سوف نقرأ جملة من هذه الآيات الكريمة، و بعض

هذه الآيات التى سوف نستعرضها واضح الدلالة على المقصود، و البعض الآخر له نحو دلالة

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۵۶

بشكل و آخر او يكون معززا و مؤيدا للروح العامة لهذه الفكرة القرآنية. «۱»

فمن الآيات الكريمة التى اعطيت فيها الفكرة الكلية، فكرة ان التاريخ له سنن و له ضوابط ما يلى:

لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ «۲».

نلاحظ فى هاتين الآيتين الكريمتين، أن الأجل أضيف إلى الأمة، إلى الوجود المجموعى للناس، لا إلى هذا الفرد بالذات أو هذا الفرد بالذات، إذن هناك وراء الأجل المحدود المحتوم لكل إنسان بوصفه الفردى، هناك أجل آخر و ميقات آخر للوجود الاجتماعى لهؤلاء الأفراد، للأمة بوصفها مجتمعا ينشئ ما بين أفراده العلاقات و الصلات القائمة على أساس مجموعة من الأفكار و المبادئ المسندة

---

(۱) سورة يونس: الآية (۴۹).

(۲) سورة الاعراف: الآية (۳۴).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۵۷

بمجموعة من القوى و القابليات، هذا المجتمع الذى يعبر عنه القرآن الكريم بالأمة، هذا له أجل، له موت، له حياة، له حركة، كما أن الفرد يتحرك فيكون حيا ثم يموت كذلك الأمة تكون حية ثم تموت، و كما أن موت الفرد يخضع لأجل و لقانون و لناموس كذلك الأمم ايضا لها آجالها المضبوطة.

و هناك نواميس تحدد لكل أمة هذا الأجل، إذن هاتان الآيتان الكريمتان فيهما عطاء واضح للفكرة الكلية، فكرة أن التاريخ له سنن تتحكم به وراء السنن الشخصية التى تتحكم فى الأفراد، بهوياتهم الشخصية:

وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَ لَها كِتابٌ مَعْلُومٌ ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ «۱». ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ «۲». أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ «۳».

---

(۱) سورة الحجر: الآية: (۴- ۵).

(۲) سورة المؤمنون: الآية (۴۳).

(۳) سورة الاعراف: الآية (۱۸۵).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۵۸

ظاهرة الآية الكريمة أن الأجل الذى يترقب أن يكون قريبا أو يهدد هؤلاء بأن يكون قريبا، هو الأجل الجماعى لا الأجل الفردى، لأن قوما بمجموعهم لا يموتون عادة فى وقت واحد و إنما الجماعة بوجودها المعنوى الكلى هو الذى يمكن ان يكون قد اقترب أجله.

فالأجل الجماعى هنا يعبر عن حالة قائمة بالجماعة، لا عن حالة قائمة بهذا الفرد أو بذاك، لأن الناس عادة تختلف آجالهم حينما ننظر إليهم بالمنظار الفردى، لكن حينما ننظر إليهم بالمنظار الاجتماعى بوصفهم مجموعة واحدة متفاعلة فى ظلمها و عدلها، فى سرّائها و ضرائها، حينئذ يكون لها أجل واحد فهذا الأجل الجماعى المشار إليه إنما هو أجل الأمة، و بهذا تلتقى هذه الآية الكريمة مع الآيات السابقة وَ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا وَ تِلْكَ الْقُرى أَهْلَكْناهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً «۱».

---

(۱) سورة الكهف: الآية (۵۸- ۵۹).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۵۹

وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً «۱».

فى هاتين الآيتين الكريمتين تحدث القرآن الكريم عن أنه لو كان اللّه يريد أن يؤاخذ الناس بظلمهم، و بما كسبوا لما ترك على ساحة الناس من دابة، يعنى لأهلك الناس جميعا.

و قد وقعت مشكلة فى كيفية تصوير هذا المفهوم القرآنى، حيث ان الناس ليسوا كلهم ظالمين عادة، فيهم الأنبياء، فيهم الأئمة فيهم الأوصياء. هل يشمل الهلاك الأنبياء، و الأئمة العدول من المؤمنين؟ حتى ان بعض الناس استغل هاتين الآيتين لانكار عصمة الأنبياء (ع).

و الحقيقة ان هاتين الآيتين تتحدثان عن عقاب دنيوى لا عن عقاب أخروى، تتحدث عن النتيجة الطبيعية لما تكسبه امة عن طريق الظلم و الطغيان، هذه النتيجة الطبيعية لا- تختص حينئذ بخصوص الظالمين من ابناء المجتمع، بل تعم أبناء المجتمع على اختلاف هوياتهم، و على اختلاف انحاء سلوكهم.

---

(۱) سورة فاطر: الآية (۴۵).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۶۰

حينما وقع التيه على بنى اسرائيل نتيجة ما كسب هذا الشعب بظلمه و طغيانه و تمرده، هذا التيه لم يختص بخصوص الظالمين من بنى اسرائيل، و انما شمل موسى (ع) شمل اطهر الناس و ازكى الناس، و اشجع الناس فى مواجهة الظلمة و الطواغيت، شمل موسى (ع) لانه جزء من تلك الامة و قد حلّ الهلاك بتلك الأمة قد قرر نتيجة ظلمهم ان يتيهوا أربعين عاما، و بهذا شمل التيه موسى (ع).

حينما حل البلاء و العذاب بالمسلمين نتيجة انحرافهم فاصبح يزيد بن معاوية خليفة عليهم يتحكم فى دمائهم و اموالهم و اعراضهم و عقائدهم، حينما حلّ هذا البلاء لم يختص بالظالمين من المجتمع الاسلامى، وقتئذ شمل الحسين (ع)، أطهر الناس و أزكى الناس و اطيب الناس و أعدل الناس، شمل الامام المعصوم (ع) قتل تلك القتلة الفظيعة هو و أصحابه و أهل بيته.

هذا كله هو منطق سنة التاريخ و العذاب حينما يأتى فى الدنيا على مجتمع وفق سنن التاريخ، لا يختص بخصوص الظالمين من ابناء ذلك المجتمع و لهذا قال القرآن الكريم فى آية اخرى وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۶۱

خَاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ «۱» بينما يقول فى موضع آخر وَ لا- تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى «۲». فالعقاب الأخروى دائما ينصب على العامل مباشرة، و أما العقاب الدنيوى فيكون اوسع من ذلك، اذن هاتان الآيتان الكريمتان تتحدثان عن سنن التاريخ لا عن العقاب بالمعنى الاخروى و العذاب بمعنى مقاييس يوم القيامة، بل عن سنن التاريخ و ما يمكن ان يحصل نتيجة كسب الامة، سعى الامة، جهد الامة.

وَ إِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَ إِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَ لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلًا «۳» هذه الآية الكريمة أيضا تؤكد المفهوم العام، يقول وَ لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلًا، هذه سنة سلكناها مع الانبياء من قبلك، و سوف تستمر و لن تتغير. أهل مكة يحاولون أن يستفزوك لتخرج من مكة لانهم عجزوا عن امكانية القضاء

---

(۱) سورة الانفال: الآية (۲۵).

(۲) سورة فاطر: الآية (۱۸).

(۳) سورة الاسراء: الآية (۷۶- ۷۷).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۶۲

عليك، و على كلمتك و على دعوتك، و لهذا صار أمامهم طريق واحد و هو اخراجك من مكة.

و هناك سنة من سنن التاريخ سوف يأتى ان شاء اللّه شرحها بعد ذلك يشار اليها فى هذه الآية الكريمة. و هى أنه اذا وصلت عملية المعارضة الى مستوى اخراج النبى من هذا البلد، بعد عجز هذه المعارضة عن كل الوسائل و الاساليب الاخرى، فانهم لا يلبثون الا قليلا- ليس المقصود من انهم لا- يلبثون الا- قليلا- يعنى انه سوف ينزل عليهم عذاب اللّه سبحانه و تعالى من السماء، لأن أهل مكة اخرجوا النبى بعد نزول هذه السورة. استفزوه و ارعبوه و خرج النبى (ص) من مكة اذ لم يجد له ملجأ و أمامنا فى مكة فخرج الى المدينة و لم ينزل عذاب من السماء على أهل مكة، و انما المقصود فى أكبر الظن من هذا التعبير أنهم لا يمكثون كجماعة صامدة معارضة يعنى كموقع اجتماعى لا- يمكثون، لا- كأناس، كبشر، و انما هذا الموقع سوف ينهار نتيجة هذه العملية، سوف ينهار هذا الموقع، لا يمكثون الا قليلا لان هذه النبوة التى عجز هذا المجتمع عن تطويقها سوف تستطيع بعد ذلك ان تهز هذه الجماعة كموقع للمعارضة، و هذا ما وقع فعلا. فان رسول

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۶۳

اللّه (ص) حينما أخرج من مكة لم يمكثوا بعده الا قليلا، اذ فقدت المعارضة فى مكة موقعها، و تحولت مكة الى جزء من دار الاسلام بعد سنين معدودة.

اذن الآية تتحدث عن سنة من سنن التاريخ، و تؤكد و تقول وَ لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلًا.

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ «۱». تؤكد هذه الآية على السنن و تؤكد على الحق و التتبع لاحداث التاريخ من اجل استكشاف هذه السنن من اجل الاعتبار بهذه السنن.

وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُنا وَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ وَ لَقَدْ جاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ... «۲». هذه الآية ايضا تثبت قلب رسول اللّه (ص)، تحدثه عن التجارب السابقة، تربطه بقانون التجارب السابقة، توضح له ان هناك سنة تجرى عليه و تجرى على الانبياء الذين مارسوا هذه التجربة من قبله و ان النصر سوف يأتيه و لكن للنصر شروطه الموضوعية: الصبر، و الثبات، و استكمال الشروط، هذا هو طريق الحصول

---

(۱) سورة آل عمران: الآية (۱۳۷).

(۲) سورة الانعام: الآية (۳۴).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۶۴

على هذا النصر، و لهذا يقول فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُنا، وَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ اذن هناك كلمة للّه لا تتبدل على مر التاريخ، هذه الكلمة التى لا تتبدل هى علاقة قائمة بين النصر و بين مجموعة من الشروط و القضايا و المواصفات وضحت من خلال الآيات المتفرقة و جمعت على وجه الاجمال هنا. اذن فهناك سنة للتاريخ. فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ ما زادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً اسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا «۱». وَ لَوْ قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا «۲». هناك آيات استعرضت نماذج من سنن التاريخ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ «۳» المحتوى الداخلى النفسى الروحى للانسان هو القاعدة، الوضع الاجتماعى هو البناء العلوى، لا يتغير هذا البناء العلوى الا وفقا لتغيّر القاعدة على ما يأتى ان شاء

اللّه شرحه بعد ذلك.

---

(۱) سورة فاطر: الآية (۴۳).

(۲) سورة الفتح: الآية (۲۳).

(۳) سورة الرعد: الآية (۱۱).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۶۵

هذه الآية اذن تتحدث عن علاقة معينة بين القاعدة و البناء العلوى، بين الوضع النفسى و الروحى و الفكرى للانسان، و بين الوضع الاجتماعى، بين داخل الانسان و بين خارج الانسان، فخارج الانسان، يصنعه داخل الانسان، مرتبط بداخل الانسان، فاذا تغير ما بنفس القوم تغير ما هو وضعهم، و ما هى علاقاتهم و ما هى الروابط التى تربط بعضهم ببعض.

اذن فهذه سنة من سنن التاريخ، ربطت القاعدة بالبناء العلوى ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ «۱». أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ «۲». يستنكر عليهم ان يأملوا فى ان يكون لهم استثناء من سنة التاريخ، هل تطمعون ان يكون لكم استثناء من سنة التاريخ! و ان تدخلوا الجنة و ان تحققوا النصر، و انتم لم تعيشوا ما عاشته تلك الامم التى انتصرت و دخلت الجنة من ظروف البأساء

---

(۱) سورة الأنفال: الآية (۵۳).

(۲) سورة البقرة: الآية (۲۱۴).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۶۶

و الضراء التى تصل الى حد الزلزال على ما عبّر القرآن الكريم؟ ان هذه الحالات، حالات البأساء و الضراء التى تتعلق على مستوى الزلزال هى فى الحقيقة مدرسة للامة، هى امتحان لارادة الامة، لصمودها، لثباتها، لكى تستطيع بالتدريج ان تكتسب القدرة على ان تكون امة وسطا بين الناس.

اذن نصر اللّه قريب لكن نصر اللّه له طريق. هكذا يريد ان يقول القرآن، نصر اللّه ليس أمرا عفويا، ليس أمرا على سبيل الصدفة، ليس امرا عمياويا، نصر اللّه قريب و لكن اهتد الى طريقه، الطريق لا بد و ان تعرف فيه سنن التاريخ، لا بد و ان تعرف فيه منطق التاريخ لكى تستطيع ان تهتدى الى نصر اللّه سبحانه و تعالى. قد يكون الدواء قريبا من المريض لكن اذا كان هذا المريض لا يعرف تلك المعادلة العلمية التى تؤدى الى اثبات ان هذا الدواء يقضى على جرثومة هذا الداء، لا يستطيع ان يستعمل هذا الدواء حتى و لو كان قريبا منه.

اذن الاطلاع على سنن التاريخ هو الذى يمكّن الانسان من التوصل الى النصر. فهذه الآية تستنكر على المخاطبين لها ان يكونوا طامعين فى الاستثناء من سنن

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۶۷

التاريخ وَ ما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ وَ قالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَ أَوْلاداً وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ... «۱» هذه علاقة قائمة بين النبوة على مر التاريخ، و بين موقع المترفين و المسرفين فى الامم و المجتمعات. هذه العلاقة تمثل سنة من سنن التاريخ، و ليست ظاهرة وقعت فى التاريخ صدفة و الا لما تكررت بهذا الشكل المطرد لما قال وَ ما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها اذن هناك علاقة سلبية، هناك علاقة تطارد و تناقض، بين موقع النبوة الاجتماعى فى حياة الناس على الساحة التاريخية و الموقع الاجتماعى للمترفين و المسرفين، هذه العلاقة ترتبط فى الحقيقة بدور النبوة فى المجتمع و دور المترفين و المسرفين فى

المجتمع. هـذه العلاقة جزء من رؤية موضوعية عامة للمجتمع، كما سوف يتضح ان شاء اللّه حينما نبحث عن دور النبوة فى المجتمع و الموقع الاجتماعى للنبوة، سوف يتضح حينئذ ان النقيض الطبيعى للنبوة هى موقع المترفين و المسرفين.

اذن هذه سنة من سنن التاريخ

---

(۱) سورة سبأ: الآيات (۳۴- ۳۵)

.. وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَ كَفى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً «۱».

هـذه الآيـة أيضا تتحدث عن علاقة معينة بين ظلم يسود و ظلم يسيطر و بين هلاك تجر اليه الامة جرا. و هذه العلاقة ايضا الآية تؤكد انها علاقة مطلقة، علاقة مطردة على مر التاريخ و هى سنة من سنن التاريخ.

وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ... «۲»

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ «۳».

وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ «۴» وَ كَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها

---

(۱) سورة الاسراء: الآية (۱۶- ۱۷).

(۲) سورة المائدة: الآية (۶۶).

(۳) سورة الاعراف: لآية (۹۶).

(۴) سورة الجن الآية ۱۶.

إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ «۱».

هـذه الآيات الثلاث ايضا تتحـدث عن علاقة معينة هى علاقة بين الاسـتقامة و تطبيق احكام اللّه سبحانه و تعالى و بين وفرة الخيرات و وفرة الانتاج، و بلغة اليوم بين عدالـة التوزيع و بين وفرة الانتاج، القرآن يؤكـد ان المجتمع الذى تسوده العدالة فى التوزيع هذه العدالة فى التوزيع التى عبر عنها القرآن تارة بأنه. لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً و اخرى بانه لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا و اخرى بأنه لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ، لان شـريعة السـماء نزلت من اجل تقرير عدالة التوزيع، من اجل انشاء علاقات التوزيع على اسس عادلـة، يقول لو انهم طبقوا عدالـة التوزيع، اذن لما وقعوا فى ضـيق من ناحيـة الثروة المنتجـة، لما وقعوا فى فقر من هـذه الناحية لازداد الثراء، لازداد المال و ازدادت الخيرات و البركات.

لكنهم تخيلوا ان عدالة التوزيع تقتضـى الفقر تقتضـى التقسـيم و بالتالى تقتضـى فقر الناس، بينما الحقيقة السـنة التاريخية تؤكد عكس ذلك، تؤكد بأن تطبيق شريعة

---

(۱) سورة الزخرف: الآية (۲۲).

السـماء و تجسـيد احكامهـا فى علاقـات التوزيع تؤدى دائمـا و باسـتمرار الى وفرة الانتـاج و الى زيادة الثروة، الى ان يفتـح على الناس

برکات السماء و الارض.

اذن هذه ایضا سنة من سنن التاریخ.

و هناک آیات اخری اکدت و حثت علی الاستقراء و النظر و التدبر فی الحوادث التاریخیة من اجل تکوین نظرة استقرائیة، من اجل الخروج بنوامیس و سنن کونیة للساحة التاریخیة.

أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ وَ لِلْکافِرِینَ أَمْثالُها «۱».

أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ «۲» فَکَأَیِّنْ مِنْ قَرْیَةٍ أَهْلَکْناها وَ هِیَ ظالِمَةٌ فَهِیَ خاوِیَةٌ عَلی عُرُوشِها وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِیدٍ،

---

(۱) سورة محمد: الآیة (۱۰).

(۲) سورة یوسف: الآیة (۱۰۹).

المدرسة القرآنیة: التفسیر الموضوعی و التفسیر التجزیئی فی القرآن الکریم، ص: ۷۱

أ فلم یسیروا فی الأرض فتکون لهم قلوب یعقلون بها او آذان یسمعون بها فانها لا- تعمی الابصار و لکن تعمی القلوب التی فی الصدور «۱» وَ کَمْ أَهْلَکْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِی الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِیصٍ، إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَی السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِیدٌ ... «۲».

من مجموع هذه الآیات الکریمة یتبلور المفهوم القرآنی الذی اوضحناه، و هو تأکید القرآن علی ان الساحة التاریخیة لها سنن و لها ضوابط کما یکون هناک سنن و ضوابط لکل الساحات الکونیة الاخری. و هذا المفهوم القرآنی یعتبر فتحا عظیما للقرآن الکریم ... لاننا فی حدود ما نعلم القرآن اول کتاب عرفه الانسان اکد علی هذا المفهوم، و کشف عنه و أصر علیه و قاوم بکل ما لدیه من وسائل الاقناع و التفهیم، قاوم النظرة العفویة او النظرة الغیبیة الاستسلامیة بتفسیر الاحداث، الانسان الاعتیادی کان یفسر احداث التاریخ بوصفها کومة متراکمة من الاحداث، یفسرها علی اساس الصدفة تارة، و علی اساس

---

(۱) سورة الحج: الآیة (۴۶).

(۲) سورة ق: الآیة (۳۶- ۳۷).

المدرسة القرآنیة: التفسیر الموضوعی و التفسیر التجزیئی فی القرآن الکریم، ص: ۷۲

لقضاء و القدر و الاستسلام لامر اللّه سبحانه و تعالی، القرآن الکریم قاوم هذه النظرة العفویة و قاوم هذه النظرة الاستسلامیة و نبه العقل البشری الی ان هذه الساحة لها سنن، و لها قوانین و انه لکی تستطیع ان تکون انسانا فاعلا مؤثرا لا بد لک أن تکتشف هذه السنن، لا- بد لک ان تتعرف علی هذه القوانین لکی تستطیع ان تتحکم فیها و الا- تحکمت هی فیک و انت مغمض العینین، افتح عینیک علی هذه القوانین افتح عینیک علی هذه السنن لکی تکون انت المتحکم لا لکی تکون هذه السنن هی المتحکمة فیک.

هذا الفتح القرآنی الجلیل هو الذی مهد الی تنبیه الفکر البشری بعد ذلک بقرون الی ان تجری محاولات لفهم التاریخ فهما علمیا بعد نزول القرآن بثمانیة قرون بدأت هذه المحاولات بدأت علی ایدی المسلمین انفسهم، فقام ابن خلدون بمحاولة لدراسة التاریخ و کشف سننه و قوانینه، ثم بعد ذلک بأربعة قرون (علی اقل تقدیر) اتجه الفکر الاوربی فی بدایات ما یسمی بعصر النهضة، بدأ لکی یجسد هذا المفهوم الذی ضیعه المسلمون، و الذی لم یستطع المسلمون ان یتوغلوا الی اعماقه، هذا المفهوم اخذه

المدرسة القرآنیة: التفسیر الموضوعی و التفسیر التجزیئی فی القرآن الکریم، ص: ۷۳

الفکر الغربی فی بدایات عصر النهضة و بدأت هناک ابحاث متنوعة و مختلفة حول فهم التاریخ و فهم سنن التاریخ و نشأت علی هذا

الاساس اتجاهات مثالية و مادية و متوسطة و مدارس متعددة، كل واحدة منها تحاول ان تحدد نواميس التاريخ.

و قد تكون المادية التاريخية اشهر هذه المدارس و أوسعها تغلغلا و اكثرها تأثيرا فى التاريخ نفسه، اذن كل هذا الجهد البشرى فى الحقيقة هو استمرار لهذا التنبيه القرآنى و يبقى للقرآن الكريم مجده فى انه طرح هذه الفكرة لاول مرة على الساحة على ساحة المعرفة البشرية.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۷۵

الدرس الخامس

اشارة

يوم الثلاثاء ۳/ ج ۲/ ۱۳۹۹ ه أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم و أفضل الصلوات على سيد الأنبياء و المرسلين و على الهداة الميامين من آله الطاهرين.

من خلال استعراضنا السابق للنصوص القرآنية الكريمة التى أوضحت فكرة السنن التاريخية و أكدت عليها، يمكننا أن نستخلص من خلال المقارنة بين تلك النصوص ثلاث حقائق أكد عليها القرآن الكريم بالنسبة الى سنن التاريخ.

الحقيقة الاولى:

هى الاطّراد بمعنى أن السنة التاريخية مطردة ليست علاقة عشوائية و ليست رابطة قائمة على أساس الصدفة و الاتفاق و إنما هى علاقة ذات طابع موضوعى لا تتخلف فى الحالات الاعتيادية التى تجرى فيها الطبيعة و الكون على السنن العامة، و كان التأكيد على طابع الاطراد فى السنة تأكيدا على الطابع العلمى للقانون التاريخى،

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۷۶

لأن القانون العلمى أهم مميز يميزه عن بقية المعادلات و الفروض هو الإطراد و التتابع و عدم التخلف.

و من هنا استهدف القرآن الكريم، من خلال التأكيد على طابع الإطراد فى السنة التاريخية، استهدف أن يؤكد على الطابع العلمى لهذه السنة و أن يخلق فى الانسان المسلم شعورا واعيا على جريان أحداث التاريخ متبصرا لا عشوائيا و لا مستسلما و لا ساذجا.

وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ... «۱»، وَ لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلًا ... «۲» وَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ ... «۳» هذه النصوص القرآنية تقدم استعراضها تؤكد هذه النصوص طابع الاستمرارية و الاطراد أى طابع الموضوعية و العلمية للسنة التاريخية، و تستنكر هذه النصوص الشريفة كما تقدم فى بعضها، أن يكون هناك تفكير أو طمع لدى جماعة من الجماعات، بأن تكون مستثناة من سنة التاريخ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ

---

(۱) سورة الاحزاب: الآية (۶۲).

(۲) سورة الاسراء: الآية (۷۷).

(۳) سورة الانعام: الآية (۳۴).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۷۷

آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ «۱» هذه الآية.

تستنكر على من يطمع فى أن يكون حالة استثنائية من سنة التاريخ كما شرحنا فى ما مضى. اذن الروح العامة للقرآن تؤكد على هذه

الحقيقة الاولى و هى حقيقة الإطراد فى السنة التاريخية الذى يعطيها الطابع العلمى من أجل تربية الانسان على ذهنية واعية عليمة يتصرف فى اطارها و من خلالها مع أحداث التاريخ.

الحقيقة الثانية:

الحقيقة الثانية التى أكدت عليها النصوص القرآنية ربانية السنة التاريخية، ان السنة التاريخية، ربانية مرتبطة بالله سبحانه و تعالى، سنة الله، كلمات الله على اختلاف التعبير، بمعنى أن كل قانون من قوانين التاريخ، فهو كلمة من الله سبحانه و تعالى، و هو قرار ربانى، هذا التأكيد من القرآن الكريم على ربانية السنة التاريخية و على طابعها الغيبى، يستهدف شدّ الانسان حتى حينما يريد أن يستفيد من القوانين الموضوعية للكون بالله سبحانه و تعالى، و اشعار الانسان بان الاستعانة بالنظام الكامل لمختلف

---

(۱) سورة البقرة: الآية (۲۱۴).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۷۸

الساحات الكونية و الاستفادة من مختلف القوانين و السنن التى تتحكم فى هذه الساحات، ليس ذلك انعزالا عن اللّه سبحانه و تعالى لان الله يمارس قدرته من خلال هذه السنن، و لان هذه السنن و القوانين هى إرادة الله، و هى ممثلة لحكمة الله و تدبيره فى الكون. و قد يتوهم البعض أن هذا الطابع الغيبى الذى يلبسه القرآن الكريم للتاريخ و للسنن التاريخية يبعد القرآن عن التفسير العلمى الموضوعى للتاريخ و يجعله يتجه اتجاه التفسير الإلهى للتاريخ الذى مثلته مدرسة من مدارس الفكر اللاهوتى على يد عدد كبير من المفكرين المسيحيين اللاهوتيين حيث فسروا تفسيرا إلهيا قد يخلط هذا الاتجاه القرآنى بذلك التفسير الإلهى الذى اتجه اليه أغسطين و غيره من المفكرين اللاهوتيين، فيقال بأن اسباغ هذا الطابع الغيبى على السنة التاريخية يحول المسألة الى مسألة غيبية و عقائدية و يخرج التاريخ عن اطاره العلمى الموضوعى لكن الحقيقة أن هناك فرقا أساسيا بين الاتجاه القرآنى و طريقة القرآن فى ربط التاريخ بعالم الغيب و فى اسباغ الطابع الغيبى على السنة التاريخية، و بين ما يسمى بالتفسير الإلهى للتاريخ الذى تبناه اللاهوت، هناك فرق كبير بين هذين الاتجاهين و هاتين

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۷۹

النزعتين، و حاصل هذا الفرق هو أن الاتجاه اللاهوتى، للتفسير الإلهى للتاريخ يتناول الحادثة نفسها و يربط هذه الحادثة بالله سبحانه و تعالى قاطعا صلتها و روابطها مع بقية الحوادث فهو يطرح الصلة مع اللّه بديلا عن صلة الحادثة مع بقية الحوادث، بديلا عن العلاقات و الارتباطات التى تزخر بها الساحة التاريخية و التى تمثل السنن و القوانين الموضوعية لهذه الساحة، بينما القرآن الكريم لا يسبغ الطابع الغيبى على الحادثة بالذات، لا ينتزع الحادثة التاريخية من سياقها ليربطها مباشرة بالسماء، لا يطرح صلة الحادثة بالسماء كبديل عن أوجه الانطباق و العلاقات و الاسباب و المسببات على هذه الساحة التاريخية بل إنه يربط السنة التاريخية بالله، يربط اوجه العلاقات و الارتباطات باللّه، فهو يقرر أولا و يؤمن بوجود روابط و علاقات بين الحوادث التاريخية الا أن هذه الروابط و العلاقات بين الحوادث التاريخية هى فى الحقيقة تعبير عن حكمة الله سبحانه و تعالى و حسن تقديره و بنائه التكوينى للساحة التاريخية، اذا أردنا أن نستعين بمثال لتوضيح الفرق بين هذين الاتجاهين من الظواهر الطبيعية. نستطيع أن نستخدم هذا المثال: قد يأتى انسان فيفسر ظاهرة المطر التى هى ظاهرة

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۸۰

طبيعية فيقول بأن المطر نزل بارادة من الله سبحانه و تعالى و يجعل هذه الارادة بديلا عن الأسباب الطبيعية التى نجم عنها نزول المطر، فكأن المطر حادثة لا علاقة لها و لا نسب لها، و انما حادثة مفردة ترتبط مباشرة بالله سبحانه و تعالى بمعزل عن تيار الحوادث، هذا

النوع من الكلام يتعارض مع التفسير العلمى لظاهرة المطر، لكن اذا جاء شخص و قال بأن الظاهرة، ظاهرة المطر لها أسبابها و علاقاتها و انها مرتبطة بالدورة الطبيعية للماء مثلا، الماء يتبخر فيتحول الى غاز، و الغاز يتصاعد سحابا و السحاب يتحول بالتدريج الى سائل نتيجة انخفاض الحرارة فينزل المطر الا أن هذا التسلسل السببى المتقن، هذه العلاقات المتشابكة بين هذه الظواهر الطبيعية هى تعبير عن حكمة الله و تدبيره و حسن رعايته فمثل هذا الكلام لا يتعارض مع الطابع العلمى و التفسير الموضوعى لظاهرة المطر، لاننا ربطنا هنا السنة بالله سبحانه و تعالى لا الحادثة مع عزلها عن بقية الحوادث و قطع ارتباطها مع مؤثراتها و أسبابها.

اذن القرآن الكريم حينما يسبغ الطابع الربانى على السنة التاريخية لا يريد أن يتجه اتجاه التفسير الإلهى فى التاريخ، و لكنه يريد أن يؤكد أن هذه السنن ليست هى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۸۱

خارجة و من وراء قدرة الله سبحانه و تعالى و انما هى تعبير و تجسيد و تحقيق لقدرة الله، فهى كلماته و هى سننه و ارادته و حكمته فى الكون لكى يبقى الانسان دائما مشدودا الى الله، لكى تبقى الصلة الوثيقة بين العلم و الايمان، فهو فى نفس الوقت الذى ينظر فيه الى هذه السنن نظرة علمية، ينظر أيضا اليها نظرة ايمانية.

و قد بلغ القرآن الكريم فى حرصه على تأكيد الطابع الموضوعى للسنن التاريخية و عدم جعلها مرتبطة بالصدف، ان نفس العمليات الغيبية أناطها فى كثير من الحالات بالسنة التاريخية نفسها أيضا، عملية الامداد الإلهى بالنص، المداد الإلهى الغيبى الذى يساهم فى كسب النص، هذا الامداد جعله القرآن الكريم مشروطا بالسنة التاريخية، مرتبطا بظروفها غير منفك عنها، و هذه الروح أبعد ما تكون عن أن تكون روحا تفسير التاريخ على أساس الغيب و انما هى روح تفسر التاريخ على أساس المنطق و العقل و العلم و حتى ذاك الامداد الإلهى الذى يساهم بالنص ذاك الامداد أيضا ربط بالسنة التاريخية.

قرأنا فى ما سبق صيغة من صيغ السنن التاريخية للنص حينما قرأنا قوله سبحانه و تعالى ... أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۸۲

الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ «۱» الآن تعالوا نقرأ الآيات التى تتحدث عن الامداد الإلهى الغيبى لنلاحظ كيف ان هذه الآيات ربطت هذا الامداد الإلهى الغيبى بتلك السنة نفسها أيضا إذ تقول للمؤمنين أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرى لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ «۲». هناك إمداد إلهى غيبى و لكنه شرط بسنة التاريخ، شرط بقوله: بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا اجملت هنا شروط التاريخ التى فصلت فى الآيات الأخرى، اذن هذا الإمداد الغيبى ايضا مرتبط بسنة التاريخ.

اذن فمن الواضح أن الطابع الربانى الذى يسبقه القرآن الكريم ليس بديلا عن التفسير الموضوعى و انما هو ربط لهذا التفسير الموضوعى بالله سبحانه و تعالى من أجل

---

(۱) سورة البقرة: الآية (۲۱۴).

(۲) سورة آل عمران الآية (۱۲۴- ۱۲۶).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۸۳

اكمال اتجاه الاسلام نحو التوحيد بين العلم و الايمان فى تربية الانسان المسلم.

الحقيقة الثالثة:

و الحقيقة الثالثة التى أكد عليها القرآن الكريم من خلال النصوص المتقدمة هى حقيقة اختيار الانسان و إرادة الانسان. و التأكيد على هذه الحقيقة فى مجال استعراض سنن التاريخ مهم جدا اذ سوف يأتى ان شاء الله تعالى بعد محاضرتين. ان البحث فى سنن التاريخ خلق و هما، و حاصل هذا الوهم الذى خلقه هذا البحث عند كثير من المفكرين أن هناك تعارضا و تناقضا بين حرية الانسان و اختياره و بين سنن التاريخ، فاما أن نقول بأن للتاريخ سننه و قوانينه و بهذا نتنازل عن إرادة الانسان و اختياره و عن حريته، و اما أن نسلم بأن الانسان كائن حر مريد مختار، و بهذا يجب أن نلغى سنن التاريخ و قوانينه و نقول بأن هذه الساحة قد أعفيت من القوانين التى لم تعف منها بقية الساحات الكونية.

هذا الوهم و هم التعارض و التناقض بين فكرة السنة التاريخية أو القانون التاريخى، و بين فكرة اختيار الانسان و حريته، هذا الوهم كان من الضرورى للقرآن الكريم أن

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۸۴

يزيحه و هو يعالج هذه النقطة بالذات.

و من هنا أكد سبحانه و تعالى على أن المحور فى تسلسل الأحداث و القضايا انما هو إرادة الانسان، و سوف أتناول ان شاء الله تعالى بعد محاضرتين الطريقة الفنية فى كيفية التوفيق بين سنن التاريخ و إرادة الانسان، و كيف استطاع القرآن الكريم أن يجمع بين هذين الأمرين من خلال فحص للصيغ التى يمكن فى اطارها صياغة السنة التاريخية، سوف أتكلم عن ذلك بعد محاضرتين، لكن يكفى الآن أن نستمع الى قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ «۱» ... وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً «۲» .... وَ تِلْكَ الْقُرى أَهْلَكْناهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً «۳» انظروا كيف أن السنن التاريخية لا- تجرى من فوق رأس الانسان بل تجرى من تحت يده، فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم و ان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا اذن هناك مواقف ايجابية للانسان تمثل حريته و اختياره و تصميمه و هذه المواقف تستتبع ضمن علاقات السنن

---

(۱) سورة الرعد: الآية (۱۱).

(۲) سورة الجن: الآية (۱۶).

(۳) سورة الكهف: الآية (۵۹).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۸۵

التاريخية، تستتبع جزاءاتها المناسبة، تستتبع معلولاتها المناسبة. اذن فاختيار الانسان له موضعه الرئيسى فى الساحة التاريخية، و ذات طابع انسانى لانها لا تفصل، الانسان عن دوره الايجابى و لا تعطل فيه ارادته و حريته و اختياره، و انما تؤكد أكثر فأكثر مسئوليته على الساحة التاريخية.

الآن بعد استعراضنا الخصائص الثلاث التى تتميز بها السنن التاريخية فى القرآن الكريم نواجه هذا السؤال: ما هو ميدان هذه السنن التاريخية؟

كنا حتى الآن نعبر و نقول بأن هذه السنن تجرى على الساحة التاريخية، لكن، هل أن الساحة التاريخية بامتدادها هى ميدان للسنن التاريخية أو أن ميدان السنن التاريخية يمثل جزأ من الساحة التاريخية بمعنى أن الميدان الذى يخضع للسنن التاريخية بوصفها قوانين ذات طابع نوعى مختلف عن القوانين الأخرى الفيزيائية و الفسلجية و البيولوجية و الفلكية، هذا الميدان الذى يخضع لقوانين ذات طابع نوعى مختلف، هذا الميدان هل تتسع له الساحة التاريخية؟ هل يستوعب كل الساحة التاريخية، أو يعبر عن جزء من الساحة التاريخية؟

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۸۶

التصور القرآنى لسنن التاريخ و سوف أعود الى هذه النقطة مرة أخرى إنشاء اللّه تعالى. اذن نستخلص مما سبق أن السنن التاريخية، ان

السنن القرآنية فى التاريخ ذات طابع علمى، لانها تتميز بالاطراد الذى يميز القانون العلمى، و ذات طابع ربانى لانها تمثل حكمة اللّه و حسن تدبيره على لكن قبل هذا يجب أن نعرف ما ذا نقصد بالساحة التاريخية؟ الساحة التاريخية عبارة عن الساحة التى تحوى تلك الحوادث و القضايا التى يهتم بها المؤرخون، المؤرخون أصحاب التواريخ يهتمون بمجموعة من الحوادث و القضايا يسجلونها فى كتبهم و الساحة التى تزخر بتلك الحوادث التى يهتم بها المؤرخون و يسجلونها هى الساحة التاريخية، فالسؤال هنا اذن هو هكذا، هل أن كل هذه الحوادث و القضايا التى يربطها المؤرخون و تدخل فى نطاق مهمتهم التاريخية و التسجيلية هل كلها محكومة بالسنن التاريخية، بسنن التاريخ ذات الطابع النوعى المتميز عن سنن بقية حدود الكون و الطبيعة، أو أن جزءا معينا من هذه الحوادث و القضايا هو الذى تحكمه سنن التاريخ؟

الصحيح أن جزءا معينا من هذه الحوادث و القضايا هو

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۸۷

الذى تحكمه سنن التاريخ، هناك حوادث لا تنطبق عليها سنن التاريخ بل تنطبق عليها القوانين الفيزيائية أو الفسلجية او قوانين الحياة أو أى قوانين أخرى لمختلف الساحات الكونية الاخرى.

مثلا: موت أبى طالب، موت خديجة فى سنة معينة، حادثة تاريخية مهمة تدخل فى نطاق ضبط المؤرخين و أكثر من هذا هى حادثة ذات بعد فى التاريخ ترتبت عليها آثار كثيرة فى التاريخ و لكنها لا يحكمها سنّة تاريخية، تحكمها قوانين فسلجية، تحكمها قوانين الحياة التى فرضت أن يموت أبو طالب (رضوان اللّه عليه) و أن تموت خديجة (ع) فى ذلك الوقت المحدد، هذه الحادثة تدخل فى نطاق صلاحيات المؤرخين و لكن الذى يتحكم فى هذه الحادثة هى قوانين فسلجة جسم أبى طالب و جسم خديجة، قوانين الحياة التى تفرض المرض و الشيخوخة ضمن شروط معينة و ظروف معينة. حياة عثمان بن عفان، طول عمر الخليفة الثالث هذا حادثة تاريخية الخليفة الثالث ناهز الثمانين، طبعا هذه الحادثة التاريخية كان لها أثر عظيم فى تاريخ الاسلام، لو قدر لهذا الخليفة أن يموت موتا طبيعيا وفقا لقوانينه الفسلجية قبل يوم الثورة كان من الممكن أن تتغير

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۸۸

كثير من معالم التاريخ، كان من المحتمل أن يأتى الامام أمير المؤمنين الى الخلافة بدون تناقضات و بدون ضجيج و بدون خلاف لكن قوانين فسلجة جسم عثمان بن عفان اقتضت أن يمتد به العمر الى أن يقتل من قبل الثائرين عليه من المسلمين هذه حادثة تاريخية، أعنى أنها تدخل فى اهتمامات المؤرخين و لها بعد تاريخى أيضا لعبت دورا سلبا أو إيجابا فى تكييف الأحداث التاريخية الاخرى، و لكنها لا تتحكم فيها سنن التاريخ، ان الذى يتحكم فى ذلك قوانين بنية جسم عثمان بن عفان، قوانين الحياة و قوانين جسم الانسان التى أعطت لعثمان بن عفان عمرا طبيعيا ناهز الثمانين. مواقف عثمان بن عفان تصرفاته الاجتماعية تدخل فى نطاق سنن التاريخ، و لكن طول عمر عثمان بن عفان مسألة أخرى، مسألة حياتية أو مسألة فسلجية أو مسألة فيزيائية و ليست مسألة تتحكم فيها سنن التاريخ.

اذن سنن التاريخ لا- تتحكم على كل الساحة التاريخية، لا تتحكم على كل القضايا التى يدرجها الطبرى فى تاريخه بل على ميدان معين من هذه الساحات يأتى الحديث ان شاء اللّه عنها.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۸۹

الدرس السادس

يوم الأربعاء ۴/ ج ۲/ ۱۳۹۹ ه أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم و أفضل الصلوات على سيد الخلق محمد و على الهداة الميامين من آله الطاهرين قلنا إن الساحة التاريخية، ساحة اهتمامات المؤرخين لا تستوعبها سنن التاريخ لان هذه الساحة تشتمل

على ظواهر كونيـة و طبيعيـة و فيزيائيـة و حياتيـة و فسلجية أيضا. هـذه الظواهر تحكمها قوانينها النوعيـة على الرغم من أن بعض هـذه الظواهر ذات أهميـة بالناظور التاريخى، من منظار المؤرخين تعتبر هـذه حوادث ذات أهميـة، لها بعـد زمنى فى امتداد و تيار الحوادث التاريخية و لكنها مع هذا لا تحكمها سنن التاريخ بل تحكمها سننها الخاصة. سنن التاريخ تحكم ميدانا معينا من الساحة التاريخية، هذا الميدان يشتمل على ظواهر متميزة تميزا نوعيا عن سائر الظواهر الكونية و الطبيعية و باعتبار هذا التميز النوعى استحقت سننا

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۹۰

متميزة أيضا تميزا نوعيا عن سنن بقية الساحات الكونية.

المميز العـام للظواهر التى تـدخل فى نطاق سـنن التاريـخ هو أن هـذه الظواهر تحمل علاقـة جديـدة لم تكن موجودة فى سائر الظواهر الأخرى الكونية و الطبيعية و البشـرية. الظواهر الكونية و الطبيعية كلها تحمل علاقة ظاهرة بسـبب، مسبّب بسبب، نتيجة بمقدمات، هذه العلاقـة موجودة فى كل الظواهر الكونيـة و الطبيعيـة، الغليان ظاهرة طبيعية مرتبطة بظروف معينة، بدرجة حرارة معينة، بدرجة معينة من قرب هذا الماء من النار، هذا الارتباط ارتباط المسبب بالسـبب، العلاقة هنا علاقة السببية، علاقة الحاضـر بالماضى، بالظروف المسبقة المنجزة، لكن هنـاك ظواهر على الساحـة التاريخيـة تحمل علاقـة من نمط آخر و هى علاقـة ظاهرة بهـدف، علاقـة نشاط بغايـة أو ما يسميه الفلاسفة بالعلة الغائية، تمييزا عن العلة الفاعلية، هذه العلاقة علاقة جديدة متميزة، غليان الماء بالحرارة، يحمل علاقة مع سببه مع ماضيه لكن لا يحمل علاقـة مع غاية و مع هدف ما لم يتحول الى فعل انسانى و الى جهد بشـرى بينما العمل الانسانى الهادف يحتوى على علاقة لا فقط مع السبب، لا فقط مع الماضى، بل مع الغاية التى هى غير موجودة حين

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۹۱

انجاز هـذا العمل، و انما يترقب وجودها. أى العلاقـة هنا علاقـة مع المسـتقبل لا مع الماضـى، الغايـة دائما تمثل المسـتقبل بالنسـبة الى العمل، بينما السبب يمثل الماضى بالنسبة الى هذا العمل.

فالعلاقـة التى يتميز بها العمل التاريخى، العمل الـذى تحكمه سـنن التاريخ هو انه عمل هادف، عمل يرتبط بعلة غائية سواءً كانت هذه الغايـة صالحـة أو طالحـة، نظيفـة أو غير نظيفة، على أى حال هذا يعتبر عملا هادفا، يعتبر نشاطا تاريخيا، يدخل فى نطاق سـنن التاريخ، على هذا الأساس و هذه الغايات التى يرتبط بها هذا العمل الهادف المسئول، هذه الغايات حيث انها مسـتقبلية بالنسبة الى العمل، فهى تؤثر من خلال وجودها الـذهنى فى العامل لا محالة، لانها بوجودها الخارجى، بوجودها الواقعى، طموح و تطلع الى المسـتقبل، ليسـت موجودة وجودا حقيقيا و انما تؤثر من خلال وجودها الذهنى فى الفاعل.

اذن فالمسـتقبل أو الهدف الذى يشكل الغاية للنشاط التاريخى يؤثر فى تحريك هذا النشاط و فى بلورة هذا النشاط من خلال الوجود الذهنى أى من خلال الفكر الذى يتمثل فيه الوجود الذهنى للغاية ضمن شروط و مواصفات،

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۹۲

حينئـذ يؤثر فى ايجـاد هـذا النشـاط، اذن حصـلنا الآـن على مميز نوعى للعمل التاريخى لظاهرة على الساحـة التاريخيـة هـذا المميز غير موجود بالنسـبة الى سـائر الظواهر الأـخرى على ساحـات الطبيعـة المختلفـة، هـذا المميز ظهور علاقـة فعل بغايـة، نشاط بهـدف بالتعبير بالتفسـير الفلسـفى، ظهور دور العلة الغائية، كون هذا الفعل متطلعا الى المسـتقبل، كون المسـتقبل محركا لهذا الفعل من خلال الوجود الـذهنى الـذى يرسم للفاعـل غايته أى من خلال الفكر اذن هـذا هو فى الحقيقـة دائرة السـنن النوعيـة للتاريـخ. السـنن النوعيـة للتاريخ موضوعها ذلك الجزء من الساحـة التاريخيـة الـذى يمثل عملا له غايـة، عملا يحمل علاقة اضافية الى العلاقات الموجودة فى الظواهر الطبيعية و هى العلاقة بالغاية و الهدف، بالعلة الغائية.

لكن ينبغى هنا أيضا انه ليس كل عمل له غاية فهو عمل تاريخى، هو عمل تجرى عليه سـنن التاريخ بل يوجد بعد ثالث لا بد أن يتوفر لهـذا العمـل لكى يكون عملاـ تاريخيـا أى عملاـ تحكمه سـنن التاريـخ. البعـد الأـول كـان هو «السبب» و البعـد الثانى كان هو الغاية

«الهدف».

لا بد من بعد ثالث لكى يكون هذا العمل داخلا فى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۹۳

نطاق سنن التاريخ، هذا البعد الثالث هو أن يكون لهذا العمل أرضية تتجاوز ذات العامل، أن تكون أرضية العمل هى عبارة عن المجتمع، العمل الذى يخلق موجا، هذا الموج يتعدى الفاعل نفسه، و يكون أرضيته الجماعة التى يكون هذا الفرد جزءا منها، طبعا الأمواج على اختلاف درجاتها هناك موج محدود، هناك موج كبير. لكن العمل لا يكون عملا تاريخيا الا اذا كان له موج يتعدى حدود العامل الفردى، قد يأكل الفرد اذا جاع، قد يشرب اذا عطش، قد ينام اذا أحس بحاجته الى النوم، لكن هذه الاعمال على الرغم من انها أعمال هادفة أيضا، تريد أن تحقق غايات و لكنها أعمال لا يمتد موجها أكثر من العامل خلافا لعمل يقوم به الانسان من خلال نشاط اجتماعى و علاقات متبادلة مع أفراد جماعته. التاجر حينما يعمل عملا تجاريا. القائد حينما يعمل عملا حربيا. السياسى حينما يمارس عملا سياسيا. المفكر حينما يتبنى وجهة نظر فى الكون و الحياة. هذه الأعمال لها موج يتعدى شخص العامل، هذا الموج يتخذ من المجتمع أرضية له، و يمكننا أيضا أن نستعين بمصطلحات الفلاسفة فنقول: المجتمع يشكل علة مادية لهذا العمل، نتذكر من مصطلحات

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۹۴

الفلاسفة التمييز الأرسطى بين العلة الفاعلية و العلة الغائية و العلة المادية، هنا نستعين بهذه المصطلحات لتوضيح الفكرة. يعنى المجتمع يشكل علة مادية لهذا العمل، أرضية العمل، فى حالة من هذا القبيل يعتبر هذا العمل عملا تاريخيا، يعتبر عملا للأمة و للمجتمع و ان كان الفاعل المباشر فى جملة من الأحيان لا يكون الا فرد واحد أو عدد من الأفراد و لكن باعتبار الموج يعتبر عمل المجتمع، اذن العمل التاريخى الذى تحكمه سنن التاريخ هو العمل الذى يكون حاملا لعلاقة مع هدف و غاية، و يكون فى نفس الوقت ذا أرضية أوسع من حدود الفرد، ذا موج يتخذ من المجتمع علة مادية له و بهذا يكون عمل المجتمع.

و فى القرآن الكريم نجد تمييزا بين عمل الفرد و عمل المجتمع و نلاحظ فى القرآن الكريم انه من خلال استعراضه للكتب الغيبية الاحصائية تحدث القرآن عن كتاب للفرد و تحدث عن كتاب للامة، عن كتاب يحصى على الفرد عمله، و عن كتاب يحصى على الامة عملها، و هذا تمييز دقيق بين العمل الفردى الذى ينسب الى الفرد و بين عمل الامة، اى العمل الذى له ثلاثة ابعاد، و العمل الذى له بعدان، العمل الذى له بعدان لا يدخل الا فى كتاب الفرد و اما

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۹۵

العمل الذى له ثلاثة ابعاد فهو يدخل فى الكتابين معا باعتبار البعدين فى كتاب الفرد و يحاسب الفرد عليه و باعتبار البعد الثالث يدخل فى كتاب الأمة و يعرض على الامة و تحاسب الامّة على أساسه. لاحظوا قوله سبحانه و تعالى وَ تَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ «۱».

هنا القرآن الكريم يتحدث عن كتاب للامة، أمة جاثية بين يدى ربها و يقدم لها كتابها، يقدم لها سجل نشاطها و حياتها التى مارستها كأمة، هذا العمل الهادف ذو الابعاد الثلاثة يحتويه هذا الكتاب، و هذا الكتاب- انظروا الى العبارة- يقول إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ هذا الكتاب ليس تاريخ الطبرى لا يسجل الوقائع الطبيعية، الفسلجيّة، الفيزيائية إنّما يحدد و يستنسخ ما كانوا يعملون كأمة. ما كانت الامة تعمله كأنه يعنى العمل الهادف ذو الموج بحيث ينسب للامة و تكون الامة مدعوة الى كتابها.

هذا العمل هو الذى يحويه هذا الكتاب. بينما فى آية اخرى نلاحظ قوله سبحانه و تعالى

---

(۱) سورة الجاثية: الآية (۲۸- ۲۹).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۹۶

وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً، اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً «۱» هنا الموقف يختلف، هنا كل انسان مرهون بكتابه، لكل انسان كتاب لا يغادر صغيرة و لا كبيرة من اعماله من حسناته و سيئاته من هفواته و سقطاته من صعوده و نزوله الا و هو محصى فى ذلك الكتاب، الكتاب الذى كتب بعلم من لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض و السماء. كل انسان قد يفكر ان بامكانه ان يخفى نقطة ضعف، ان يخفى ذنبا، ان يخفى سيئة عن جيرانه عن قومه عن امته، عن اولاده، قد يحاول ان يخفى حتى عن نفسه، يخدع نفسه و يرى نفسه انه لم يرتكب سيئة و لكن هذا الكتاب الحق لا يغادر صغيرة و لا كبيرة الا أحصاها، فى ذلك اليوم يقال انت حاسب نفسك لان هذه الاعمال التى مارستها سوف تواجهها فى هذا الكتاب ان تحكم على نفسك بموازين و مقاييس الحق فى يوم القيامة فى ذلك اليوم لا يمكن لاى انسان ان يخفى شيئا عن الموقف، عن اللّه سبحانه و تعالى، عن نفسه هذا كتاب الفرد و ذاك كتاب الامة. هناك كتاب لامة جاثية بين يدى ربها، و هنا لكل فرد كتاب. هذا التمييز النوعى القرآنى بين كتاب الامة و كتاب الفرد هو تعبير آخر عما

---

(۱) سورة الاسراء: الآية (۱۳).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۹۷

قلناه من ان العمل التاريخى هو ذاك العمل الذى يتمثل فى كتاب الامة. العمل الذى له ابعاد ثلاثة. بل ان الذى يستظهر و يلاحظ من عدد آخر من الآيات القرآنية الكريمة انه ليس فقط يوجد كتاب للفرد و يوجد كتاب للامة بل يوجد احضار للفرد و يوجد احضار للامة، هناك احضاران بين يدى اللّه سبحانه و تعالى الاحضار الفردى يأتى فيه كل انسان فردا فردا، لا يملك ناصرا و لا معينا، لا يملك شيئا يستعين به فى ذلك الموقف الا العمل الصالح و القلب السليم و الايمان باللّه و ملائكته و كتبه و رسله، هذا هو الاحضار الفردى. قال اللّه تعالى إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً، لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْداً «۱» هذا الاحضار هو احضار فردى بين يدى اللّه تعالى.

و هناك احضار آخر، احضار للفرد فى وسط الجماعة، احضار للامة بين يدى اللّه سبحانه و تعالى كما يوجد هناك سجلان، كذلك يوجد احضاران كما تقدم، ترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها، ذاك احضار للجماعة، و المستأنس به من سياق الآيات الكريمة ان هذا الاحضار

---

(۱) سورة مريم آية (۹۵).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۹۸

الثانى يكون من اجل اعادة العلاقات الى نصابها الحق، العلاقات من داخل كل امة قد تكون غير قائمة على اساس الحق، قد يكون الانسان المستضعف فيها جديرا بأن يكون فى اعلى الامة، هذه الامة تعاد فيها العلاقات الى نصابها الحق. هذا هو الشىء الذى سماه القرآن الكريم بيوم التغابن، كيف يحصل التغابن؟ ... يحصل التغابن عن طريق اجتماع المجموعة ثم كل انسان كان مغبونا فى موقعه فى الامة، فى وجوده فى الامة، بقدر ما كان مغبونا فى موقعه فى الامة يأخذ حقه، يأخذ حقه يوم لا كلمة الا للحق.

اسمعوا قوله تعالى يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ «۱». اذن فهناك سجلان: هناك سجل لعمل الفرد، و هناك سجل لعمل الامة و عمل الامة هو عبارة عما قلناه من العمل الذى يكون له ثلاث ابعاد، بعد من ناحية العامل ما يسميه ارسطو ب «العلة الفاعلية»، بعد من ناحية الهدف ما يسميه ارسطو ب «العلة الغائية»، بعد من ناحية الارضية و امتداد الموج ما يسمونه ب «العلة المادية». هذا العمل ذو الابعاد الثلاثة هو موضوع سنن التاريخ، هذا هو عمل المجتمع.

(۱) سورة التغابن: الآية (۹).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۹۹

لكن لا ينبغى ان يوهم ذلك ما توهمه عدد من المفكرين الفلاسفة الاوروبيين من ان المجتمع كائن عملاق له وجود وحدوى عضوى متميز عن سائر الافراد و كل فرد فرد ليس الا بمثابة الخلية فى هذا العملاق الكبير، هكذا تصور هيجل مثلا و جملة من الفلاسفة الاوروبيين، تصوروا عمل المجتمع بهذا النحو، ارادوا أن يميزوا بين عمل المجتمع و عمل الفرد فقالوا بأنه يوجد عندنا كائن عضوى واحد عملاق هذا الكائن الواحد هو فى الحقيقة يلف فى احشائه كل الافراد تندمج فى كيانه كل الافراد، كل فرد يشكل خلية فى هذا العملاق الواحد، و هو يتخذ من كل فرد نافذة على الواقع على العالم بقدر ما يمكن ان يجسد فى هذا الفرد من قابلياته هو، و من ابداعه هو، اذن كل قابلية و كل ابداع، و كل فكرة هو قابلية ذلك العملاق و ابداع ذلك العملاق و فكر ذلك العملاق الطاغية و كل فرد انما هو تعبير عن نافذة من النوافذ التى يعبر عنها ذلك العملاق الهيجلى.

هذا التصور اعتقد به جملة من الفلاسفة الاوروبيين تمييزا لعمل المجتمع عن عمل الفرد الا ان هذا التصور ليس صحيحا، و لسنا بحاجة اليه، الى الاغراق فى الخيال الى هذه الدرجة لكى ننحت هذا العملاق الاسطورى من

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۰۰

هؤلاء الافراد، ليس عندنا الا الافراد الا زيد و بكر و خالد، ليس عندنا ذلك العملاق المستتر من ورائهم، طبعا مناقشة هيجل من الزاوية الفلسفية يخرج من حدود هذا البحث، متروك الى بحث آخر لان هذا التفسير الهيجلى للمجتمع مرتبط بحسب الحقيقة بكامل الهيكل النظرى لفلسفته، الا ان الشىء الذى نريد أن نعرفه، نعرف موقع اقدامنا من هذا التصور، هذا التصور ليس صحيحا، نحن لسنا بحاجة الى مثل هذا الافتراض الاسطورى، لكى نميز بين عمل الفرد و عمل المجتمع، التمييز بين عمل الفرد و عمل المجتمع يتم من خلال ما اوضحناه من البعد الثالث.

عمل الفرد هو العمل الذى يكون له بعد ان فان اكتسب بعدا ثالثا كان عمل المجتمع، باعتبار ان المجتمع يشكل أرضية له، يشكل علة مادية له. يدخل حينئذ فى سجل كتاب الامة الجاثية بين يدى ربها. هذا هو ميزان الفرق بين العملين.

اذن الشىء الذى نستخلصه مما تقدم ان موضوع السنن التاريخية هو العمل الهادف الذى يشكل أرضية و يتخذ من المجتمع أو الأمة أرضية له على اختلاف سعة الموجة و ضيق الموجة اتساعها و ضيقها هذا هو موضوع السنن التاريخية

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۰۱

الدرس السابع

يوم الثلاثاء ۱۰/ ج ۱/ ۱۳۹۹ ه اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم و افضل الصلوات على سيد الخلق محمد و على الهداة الميامين من آله الطاهرين حان الأوان لكى نتعرف على الصيغ المتنوعة التى تتخذها السنة التاريخية القرآنية.

كيف يتم التعبير موضوعيا عن القانون التاريخى فى القرآن الكريم؟

ما هى الاشكال التى تتخذها سنن التاريخ فى مفهوم القرآن الكريم؟

هناك ثلاثة أشكال تتخذها السنة التاريخية فى القرآن الكريم، لا بد من استعراضها و مقارنتها و التدقيق فى أوجه الفرق بينها.

الشكل الاول للسنة التاريخية هو شكل القضية

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۰۲

الشرطية، فى هذا الشكل تتمثل السنة التاريخية فى قضية شرطية تربط بين حادثتين او مجموعتين من الحوادث على الساحة التاريخية، و

تؤكد العلاقة الموضوعية بين الشرط و الجزاء، و انه متى ما تحقق الشرط تحقق الجزاء. و هذه صياغة نجدها فى كثير من القوانين و السنن الطبيعية و الكونية فى مختلف الساحات الاخرى.

فمثلا: حينما نتحدث عن قانون طبيعى لغليان الماء، نتحدث بلغة القضية الشرطية، نقول بأن الماء اذا تعرض الى الحرارة و بلغت الحرارة درجة معينة مائة مثلا فى مستوى معين من الضغط، حينئذ سوف يحدث الغليان، هذا قانون طبيعى يربط بين الشرط و الجزاء و يؤكد ان حالة التعرض الى الحرارة، ضمن مواصفات معينة تذكر فى طرف الشرط تستتبع حادثة طبيعية معينة، و هى غليان هذا الماء، تحول هذا الماء من سائل الى غاز، هذا القانون مصاغ على نهج القضية الشرطية و من الواضح ان هذا القانون الطبيعى لا ينبئنا شيئا عن تحقق الشرط و عدم تحققه، لا ينبئنا هذا القانون الطبيعى عن ان الماء هل سوف يتعرض للحرارة او لا يتعرض للحرارة؟ هل ان حرارة الماء ترتفع الى الدرجة المطلوبة ضمن هذا القانون او لا ترتفع؟ هذا القانون لا

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۰۳

يتعرض الى مدى وجود الشرط و عدم وجوده، و لا ينبئنا بشىء عن تحقق الشرط ايجابا او سلبا، و انما ينبئنا عن ان الجزاء لا ينفك عن الشرط، متى ما وجد الشرط وجد الجزاء، فالغليان نتيجة مرتبطة موضوعيا بالشرط هذا تمام ما ينبئنا عنه هذا القانون المصاغ بلغة القضية الشرطية.

و مثل هذه القوانين تقدم خدمة كبيرة للانسان فى حياته الاعتيادية و تلعب دورا عظيما فى توجيه الانسان، لان الانسان ضمن تعرفه على هذه القوانين يصبح بامكانه ان يتصرف بالنسبة الى الجزاء، ففى كل حالة يرى انه بحاجة الى الجزاء يعمل هذا القانون يوفر شروط هذا القانون، ففى كل حالة يكون الجزاء متعارضا مع مصالحه و مشاعره يحاول الحيلولة دون توفر شروط هذا القانون.

متى ما كان غليان الماء مقصودا للانسان يطبق شروط هذا القانون، و متى لم يكن مقصودا للانسان يحاول ان لا تتطبّق شروط هذا القانون. اذن القانون الموضوع بنهج القضية الشرطية موجه عملى للانسان فى حياته.

و من هنا تتجلى حكمة اللّه سبحانه و تعالى فى صياغة نظام الكون على مستوى القوانين و على مستوى الروابط

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۰۴

المضطردة و السنن الثابته، لان صياغة الكون ضمن روابط مضطردة و علاقات ثابتة هو الذى يجعل الانسان يتعرف على موضع قديمه، و على الوسائل التى يجب ان يسلكها فى سبيل تكييف بيئته و حياته و الوصول الى اشباع حاجته، لو ان الغليان فى الماء كان يحدث صدفة و من دون رابطة قانونية مضطردة مع حادثة اخرى كالحرارة، اذن لما استطاع الانسان ان يتحكم فى هذه الظاهرة، ان يخلق هذه الظاهرة متى ما كانت حياته بحاجة اليها، و ان يتفاداها متى ما كانت حياته بحاجة الى تفاديها، انما كان له هذه القدرة باعتبار ان هذه الظاهرة وضعت فى موضع ثابت من سنن الكون و طرح على الانسان القانون الطبيعى بلغة القضية الشرطية فأصبح ينظر فى نور لا فى ظلام و يستطيع فى ضوء هذا القانون الطبيعى ان يتصرف.

نفس الشىء نجده فى الشكل الاول من السنن التاريخية القرآنية فان عددا كبيرا من السنن التاريخية فى القرآن قد تمت صياغته على شكل القضية الشرطية التى تربط ما بين حادثتين اجتماعيتين او تاريخيتين فهى لا تتحدث عن الحادثة الاولى انها متى توجد، و متى لا توجد لكن تتحدث

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۰۵

عن الحادثة الثانية بأنه متى ما وجدت الحادثة الاولى، وجدت الحادثة الثانية.

قرأنا فى ما سبق استعراضا للآيات الكريمة التى تدل على سنن التاريخ فى القرآن: جملة من تلك الآيات الكريمة مفادها هو السنة التاريخية بلغة القضية الشرطية.

تتذكرون ما قرأناه سابقا إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ «۱».

هذه السنة التاريخية للقرآن و التى تقدم الكلام عنها و يأتى ان شاء اللّه الحديث عن شرح محتواها، هذه السنة التاريخية للقرآن بينت بلغة القضية الشرطية لان مرجع هذا المفاد القرآنى الى ان هناك علاقة بين تغييرين: بين تغيير المحتوى الداخلى للانسان و تغيير الوضع الظاهرى للبشرية و الانسانية، مفاد هذه العلاقة قضية شرطية، انه متى ما وجد ذاك التغيير فى أنفس القوم وجد هذا التغيير فى بناء القوم و كيان القوم، هذه القضية قضية شرطية بيّن القانون فيها بلغة القضية الشرطية.

---

(۱) سورة الرعد: الآية (۱۱).

وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً «۱».

قلنا فى ما سبق ان هذه الآية الكريمة تتحدث عن سنة من سنن التاريخ، عن سنة تربط و فرة الانتاج بعدالة التوزيع هذه السنة ايضا هى بلغة القضية الشرطية كما هو الواضح من صياغتها النحوية ايضا.

وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً «۲» ايضا سنة تاريخية بينت بلغة القضية الشرطية ربطت بين امرين، بين تأمير الفساق و المترفين فى المجتمع، و بين دمار ذلك المجتمع و انحلاله، هذا القانون التاريخى ايضا مبين على نهج القضية الشرطية، فهو لا يبين انه متى يوجد الشرط، لكن يبين متى ما وجد هذا الشرط يوجد الجزاء، هذا هو الشكل الاول من اشكال السنة التاريخية فى القرآن.

الشكل الثانى الذى تتخذه السنن التاريخية شكل

---

(۱) سورة الجن: الآية (۱۶).

(۲) سورة الاسراء: الآية (۱۶).

القضية الفعلية الناجزة الوجودية المحققة. و هذا الشكل ايضا نجد له أمثلة و شواهد فى القوانين الطبيعية و الكونية.

مثلا: العالم الفلكى حينما يصدر حكما علميا على ضوء قوانين مسارات الفلك بأن الشمس سوف تنكسف فى اليوم الفلانى أو أن القمر سوف ينخسف فى اليوم الفلانى، هذا قانون علمى و قضية علمية، الا أنها قضية وجودية ناجزة، ليست قضية شرطية، لا يملك الانسان اتجاه هذه القضية أن يغير من ظروفها و أن يعدل من شروطها، لانها لم تبين كلغة قضية شرطية، و انما بينت على مستوى القضية الفعلية الوجودية، الشمس سوف تنكسف، القمر سوف ينخسف، هذه قضية فعلية تنظر الى الزمان الآتى و تخبر عن وقوع هذه الحادثة على أى حال. كذلك القرارات العلمية التى تصدر عن الانواء الجوية، المطر ينهمر على المنطقة الفلانية، هذا أيضا يعبر عن قضية فعلية وجودية لم تصغ بلغة القضية الشرطية، و انما صيغت بلغة التنجيز و التحقيق بلحاظ مكان معين و زمان معين هذا هو الشكل الثانى من السنن التاريخية و سوف اذكر فيما بعد ان شاء اللّه تعالى عند تحليل عناصر المجتمع الى أمثلة هذا الشكل من القرآن الكريم.

هذا الشكل من السنن التاريخية هو الذى أوحى فى الفكر الاوروبى بتوهم التعارض بين فكرة سنن التاريخ و فكرة اختيار الانسان و ارادته، نشأ هذا التوهم الخاطئ الذى يقول بأن فكرة سنن التاريخ لا يمكن أن تجتمع الى جانب فكرة اختيار الانسان لان سنن التاريخ هى التى تنظم مسار الانسان و حياة الانسان اذن ما ذا يبقى لارادة الانسان؟

هذا التوهم أدى الى أن بعض المفكرين يذهب الى ان الانسان له دور سلبى فقط حفاظا على سنن التاريخ و على موضوعية هذه

السنن، ضحّى باختيار الانسان من أجل الحفاظ على سنن التاريخ فقال بأن الانسان دوره دور سلبى و ليس دورا ايجابيا، يتحرك كما تتحرك الآلة وفقا لظروفها الموضوعية، و لعله يأتى بعض التفصيل أيضا عن هذه الفكرة.

و ذهب بعض آخر فى مقام التوفيق ما بين هاتين الفكرتين و لو ظاهريا الى أن اختيار الانسان نفسه هو ايضا يخضع لسنن التاريخ و لقوانين التاريخ، لا نضحى باختيار الانسان، لكن نقول بان اختيار الانسان لنفسه حادثة تاريخية ايضا، اذن هو بدوره يخضع للسنن هذه تضحية باختيار الانسان لكن بصورة مبطنة، بصورة غير مكشوفة.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۰۹

و ذهب بعض آخر الى التضحية بسنن التاريخ لحساب اختيار الانسان فذهب جملة من المفكرين الاوروبيين الى أنه ما دام الإنسان مختار فلا بد من أن تستثنى الساحة التاريخية من الساحات الكونية فى مقام التقنين الموضوعى، لا بد و ان يقال بأنه لا سنن موضوعية للساحة التاريخية حفاظا على إرادة الانسان و على اختيار الانسان.

و هذه المواقف كلها خاطئة لانها جميعا تقوم على ذلك الوهم الخاطئ، و هم الاعتقاد بوجود تناقض أساسى بين مقولة السنة التاريخية و مقولة الاختيار، و هذا التوهم نشأ من قصر النظر على الشكل الثانى من اشكال السنة التاريخية أى قصر النظر على السنة التاريخية المصاغة بلغة القضية الفعلية الوجودية الناجزة، لو كنا نقصر النظر على هذا الشكل من سنن التاريخ و لو كنا نقول بأن هذا الشكل هو الذى يستوعب كل الساحة التاريخية لا يبقى فراغا لذى فراغ، لكان هذا التوهم واردا، و لكنا يمكننا ابطال هذا التوهم عن طريق الالتفات الى الشكل الاول من اشكال السنة التاريخية الذى تصاغ فى السنة التاريخية بوصفها قضية شرطية، و كثيرا ما تكون هذه القضية الشرطية فى شرطها معبرة عن إرادة الانسان و اختيار الانسان، يعنى ان

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۱۰

اختيار الانسان يمثل محور القضية الشرطية شرط القضية الشرطية اذن فالقضية الشرطية كالأمثلة التى ذكرناها من القرآن الكريم تتحدث عن علاقة بين الشرط و الجزاء، لكن ما هو الشرط؟

الشرط: هو فعل الانسان، هو إرادة الانسان إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ «۱»، التغيير هنا أسند اليهم فهو فعلهم، إبداعهم و ارادتهم. اذن السنة التاريخية حينما تصاغ بلغة القضية الشرطية و حينما يحتل ابداع الانسان و اختياره موضوع الشرط فى هذه القضية الشرطية، فى مثل هذه الحالة تصبح هذه السنة متلائمة تماما مع اختيار الانسان، بل إن السنة حينئذ تطغى اختيار الانسان، تزيده اختيارا و قدرة و تمكنا من التصرف فى موقفه، كيف أن ذلك القانون الطبيعى للغليان كان يزيد من قدرة الانسان لانه يستطيع حينئذ ان يتحكم فى الغليان بعد أن عرف شروطه و ظروفه، كذلك السنن التاريخية ذات الصيغ الشرطية، هى فى الحقيقة ليست على حساب إرادة الانسان و ليست نقيضا لاختيار

---

(۱) سورة الرعد: الآية (۱۱).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۱۱

الانسان بل هى مؤكدة لاختيار الانسان، توضح للانسان نتائج الاختيار لكى يستطيع أن يقتبس ما يريده من هذه النتائج، لكى يستطيع ان يتعرف على الطريق الذى يسلك به الى هذه النتيجة او الى تلك النتيجة فيسير على ضوء و كتاب منير. هذا هو الشكل الثانى للسنة التاريخية.

الشكل الثالث للسنة التاريخية و هو شكل اهتم به القرآن الكريم اهتماما كبيرا، هو السنة التاريخية المصاغة على صورة اتجاه طبيعى فى حركة التاريخ لا على صورة قانون صارم حدى، و فرق بين الاتجاه و القانون. و لكى تتضح الفكرة فى ذلك لا بد و ان نطرح الفكرة الاعتيادية التى نعيشها فى اذهاننا عن القانون.

القانون العلمی كما نتصوره عادة عبارة عن تلك السنة التی لا تقبل التحدی من قبل الانسان، لانها قانون من قوانين الكون و الطبيعة فلا يمكن للانسان ان يتحداها، أن ينقضها، أن يخرج عن طاعتها، يمكنه ان لا يصلی لان وجوب الصلاة حكم تشريعی و ليس قانونا تكوينيا، يمكنه أن يشرب الخمر لان حرمة شرب الخمر قانون تشريعی و ليس قانونا تكوينيا، لكنه لا يمكنه ان يتحدى القوانين الكونية و السنن الموضوعية، مثلا لا يمكنه أن يجعل الماء

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعی و التفسير التجزيئی فی القرآن الكريم، ص: ۱۱۲

لا يغلی اذا توفرت شروط الغليان، لا يمكنه ان يتحدى الغليان ان يؤخر الغليان لحظة عن موعده المعين لأن هذا قانون و القانون صارم و الصرامة تأبی التحدی. هذه هی الفكرة التی نتصورها عادة عن القوانين و هی فكرة صحيحة الی حد ما، لكن ليس من الضرورى ان تكون كل سنة طبيعية موضوعية علی هذا الشكل بحيث تأبی التحدی و لا يمكن تحديها من قبل الانسان بهذه الطريقة، بل هناك اتجاهات موضوعية فی حركة التاريخ و فی مسار الانسان الا ان هذه الاتجاهات لها شیء من المرونة بحيث انها تقبل التحدی و لو علی شوط قصير، و ان لم تقبل التحدی علی شوط طويل، لكن علی الشوط القصير تقبل التحدی أنت لا تستطيع أن تؤخر موعد غليان الماء لحظة، لكن تستطيع أن تجمد هذه الاتجاهات لحظات من عمر التاريخ لكن هذا لا- يعنی أنها ليست اتجاهات تمثل واقعا موضوعيا فی حركة التاريخ، هی اتجاهات و لكنها مرنة تقبل التحدی لكنها تحطم المتحدی حينما يتحدى هذا المتحدی تحطمه بسنن التاريخ نفسها. و من هنا كانت اتجاهات: هناك اشياء يمكن تحديها دون ان يتحطم المتحدی، لكن هناك اشياء يمكن ان تتحدى علی شوط قصير و لكن المتحدی

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعی و التفسير التجزيئی فی القرآن الكريم، ص: ۱۱۳

يتحطم علی يد سنن التاريخ نفسها، هذه هی طبيعة الاتجاهات الموضوعية فی حركة التاريخ. لكی أقرّب الفكرة اليكم نستطيع أن نقول بأن هناك اتجاها فی تركيب الانسان و فی تكوين الانسان اتجاها موضوعيا لا تشريعيا الی اقامة العلاقات المعينة بين الذكر و الانثی فی مجتمع الانسان ضمن اطار من أطر النكاح و الاتصال، هذا الاتجاه ليس تشريعيا ليس تقنينا اعتباريا و انما هو اتجاه موضوعی اعملت العناية فی سبيل تكوينه فی مسار حركة الانسان، لا نستطيع أن نقول إن هذا مجرد قانون تشريعی، مجرد حكم شرعی لا و انما هذا اتجاه ركب فی طبيعة الانسان و فی تركيب الانسان و هو الاتجاه الی الاتصال بين الذكر و الانثی و ادامة النوع عن طريق هذا الاتصال ضمن اطار من أطر النكاح الاجتماعی. هذه سنة لكنها سنة علی مستوی الاتجاه، لا علی مستوی القانون.

لما ذا؟

لان التحدی لهذه السنة لحظة او لحظات ممكن، أمكن لقوم لوط أن يتحدوا هذه السنة فترة من الزمن بينما لم يكن بامكانهم ان يتحدوا سنة الغليان بشكل من الاشكال،

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعی و التفسير التجزيئی فی القرآن الكريم، ص: ۱۱۴

لكنهم تحدوا هذه السنة الا ان تحدی هذه السنة يؤدی الی أن يتحطم المتحدی، المجتمع الذی يتحدی هذه السنة يكتب بنفسه فناء نفسه لانه يتحدی ذلك عن طريق ألوان اخری من الشذوذ التی رفضها هذا الاتجاه الموضوعی و تلك الالوان من الشذوذ تؤدی الی فناء المجتمع و الی خراب المجتمع.

و من هنا كان هذا اتجاها موضوعيا يقبل التحدی علی شوط قصير، لكن لا يقبل التحدی علی شوط طويل لأنه سوف يحطم المتحدی بنفسه.

الاتجاه الی توزيع الميادين بين المرأة و الرجل، هذا الاتجاه اتجاه موضوعی و ليس اتجاها ناشئا من قرار تشريعی، اتجاه ركّب فی طبيعة الرجل و المرأة، و لكن هذا الاتجاه يمكن ان يتحدی، يمكن استصدار تشريع يفرض علی الرجل بأن يبقی فی البيت ليتولی دور الحضانة و التربية، و ان تخرج المرأة الی الخارج لكی تتولی مشاق العمل و الجهد، هذا بالامكان ان يتحقق عن طريق تشريع معين و

بهذا يحصل التحدى لهذا الاتجاه. لكن هذا التحدى سوف لن يستمر لان سنن التاريخ سوف تجيب على هذا التحدى، لاننا بهذا سوف نخسر و نجمد كل تلك

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۱۵

القابليات التى زودت بها المرأة من قبل هذا الاتجاه للممارسة دور الحضانة و الامومة، و سوف نخسر كل تلك القابليات التى زود بها الرجل من اجل ممارسة دور يتوقف على الجلد و الصبر و الثبات و طول النفس. تماما، كما أن من قبيل ان تسلم بناية تسلم نجارياتها الى حداد و حدادياتها الى نجار يمكن ان تصنع هكذا و يمكن ان تنشأ البناية أيضا لكن هذه البناية سوف تنهار، سوف لن يستمر هذا التحدى على شوط طويل سوف ينقطع فى شوط قصير كل اتجاه من هذا القبيل هو فى الحقيقة سنة موضوعية من سنن التاريخ، و من سنن حركة الانسان، و لكنها سنة مرنة تقبل التحدى على الشوط القصير و لكنها تجيب على هذا التحدى.

و أهم مصداق يعرضه القرآن الكريم لهذا الشكل من السنن، هذا الشكل من السنن اهم مصداق يعرضه هو الدين، القرآن الكريم يرى أن الدين نفسه سنة من سنن التاريخ، سنة موضوعية من سنن التاريخ، ليس الدين فقط تشريعا و انما هو سنة من سنن التاريخ و لهذا يعرض الدين على شكلين: تارة يعرضه بوصفه تشريعا كما يقول علم الاصول، بوصفه إرادة تشريعية مثلا يقول:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِى أَوْحَيْنا

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۱۶

إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ «۱».

هنا يبين الدين كتشريع، كقرار، كأمر من اللّه سبحانه و تعالى، لكن فى مجال آخر يبينه سنة من سنن التاريخ و قانونا داخلا فى صميم تركيب الانسان و فطرة الانسان.

قال سبحانه و تعالى:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ «۲».

هنا الدين لم يعد مجرد تشريع، مجرد قرار من أعلى و انما الدين هنا فطرة للناس، هو فطرة اللّه التى فطر عليها الناس و لا تبديل لخلق اللّه. هذا الكلام كلام موضوعى خبرى لا- تشريعى انشائى، لا تبديل لخلق اللّه، يعنى كما انك لا يمكنك ان تنتزع من الانسان أى جزء من اجزائه التى تقوّمه، كذلك لا يمكنك ان تنزع من الانسان دينه، الدين ليس مقولة حضارية مكتسبة على مرّ التاريخ يمكن

---

(۱) سورة الشورى: الآية (۱۳).

(۲) سورة الروم: الآية (۳۰).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۱۷

اعطاؤها و يمكن الاستغناء عنها لانها فى حالة من هذا القبيل لا تكون فطرة اللّه التى فطر الناس عليها و لا تكون خلق اللّه الذى لا تبديل له، بل تكون من المكاسب التى حصل عليها الانسان من خلال تطوراته المدنية و الحضارية على مرّ التاريخ. القرآن يريد ان يقول بأن الدين ليس مقولة من هذه المقولات بالامكان اخذها و بالامكان عطاؤها، الدين خلق اللّه فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ هذا الكلام «لا» ليست ناهية بل نافية يعنى هذا الدين لا يمكن أن ينفك عن خلق اللّه ما دام الانسان انسانا فالدين يعتبر سنة لهذا الانسان.

هذه سنة و لكنها ليست سنة صارمة على مستوى قانون الغليان، سنة تقبل التحدى على الشوط القصير، كما كان بامكان تحدى سنة النكاح سنة اللقاء الطبيعى و التزاوج الطبيعى، كما كان بالامكان تحدى ذلك عن طريق الشذوذ الجنسى، لكن على شوط قصير كذلك يمكننا ايضا تحدى هذه السنة على شوط قصير عن طريق الالحاد، و غمض العين عن هذه الحقيقة الكبرى بإمكان الانسان ان

يرى الشمس، أن يغمض عينه عن الشمس و يلحد و لا يرى هذه الحقيقة، و لكن هذا التحدى لا يكون الا على شوط قصير

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۱۸

لان العقاب سوف ينزل بالمتحدى، العقاب هنا ليس بمعنى العقاب الذى ينزل على من يرتكب مخالفة شرعية على يد ملائكة العذاب فى السماء فى يوم القيامة ليس هو ذاك العقاب الذى ينزل على من يخالف القانون على يد الشرطى، يضربه بالعصا على رأسه، و انما العقاب هنا ينزل من سنن التاريخ نفسها تفرض العقاب على كل أمة تريد أن تبدل خلق اللّه سبحانه و تعالى، و لا تبديل لخلق اللّه:

وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ «۱».

نحن نقول بأن السنن التاريخية من الشكل الثالث اذا تحداها الانسان فسوف يأخذ العقاب من السنن التاريخية، سرعان ما ينزل عليه العقاب من السنن التاريخية نفسها. كلمة سرعان هنا يجب أن تؤخذ بمعنى السرعة التاريخية لا السرعة التى نفهمها فى حياتنا الاعتيادية.

و هذا ما أرادت أن تقوله هذه الآية الكريمة. هذه الآية الكريمة فى المقام تتحدث عن العذاب واقعة فى سياق العذاب

---

(۱) سورة الحج: الآية (۴۷).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۱۹

الجماعى الذى نزل بالقرى السابقة الظالمة ثم بعد ذلك يتحدث عن استعجال الناس فى ايام رسول اللّه (ص) الناس يستعجلون رسول اللّه (ص) و يقولون له أين هذا العقاب؟ اين هذا العذاب؟ لما ذا لا ينزل بنا نحن الآن.

كفرنا تحديناك لم نؤمن بك، صممنا آذاننا عن قرآنك لما ذا لا ينزل بنا هذا العذاب؟ هنا القرآن يتحدث عن السرعة التاريخية التى تختلف عن السرعة الاعتيادية يقول:

وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ «۱»، لانها سنة، و السنة التاريخية ثابتة، لكن وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ «۲»، اليوم الواحد فى سنن التاريخ عند ربك باعتبار أن سنن التاريخ هى كلمات اللّه كما قرأنا فى ما سبق، كلمات اللّه سنن التاريخ. اذن فى كلمات اللّه. فى سنن اللّه، اليوم الواحد، المهملة القصيرة، هى ألف سنة. طبعا فى آية أخرى عبر بخمسين الف سنة، لكن أريد بذلك أيام القيامة لا يوم الدنيا و هذا هو وجه الجمع بين الآيتين، الكلمتين. فى آية أخرى قيل:

---

(۱) سورة الحج: الآية (۴۷).

(۲) نفس الآية السابقة.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۲۰

تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَراهُ قَرِيباً يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ «۱» هذا ناظر الى يوم القيامة، الى يوم تكون السماء كالمهل فيوم القيامة قدر بخمسين ألف سنة اما هنا يتكلم عن يوم توقيت نزول العذاب الجماعى وفقا لسنن التاريخ يقول و ان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون. اذن فهذا شكل ثالث من السنن التاريخية، هذا الشكل هو عبارة عن اتجاهات موضوعية فى مسار التاريخ و فى حركة الانسان و فى تركيب الانسان، يمكن ان يتحدى على الشوط القصير، و لكن سنن التاريخ لا تقبل التحدى على الشوط الطويل الا أن الشوط القصير و الطويل هنا ليس بحسب طموحاتنا، بحسب حياتنا الاعتيادية يوم أو يومين لان اليوم الواحد فى كلمات اللّه و فى سنن اللّه كألف سنة مما نحسب.

هذا هو الشكل الثالث، الدين هو المثال الرئيسى للشكل الثالث، من أجل أن نعرف كيف ان الدين ليس سنة من سنن التاريخ؟ ما هو دوره؟ ما هو موقعه؟ لما ذا اصبحت سنة

---

(۱) سورة المعارج: الآية (۴- ۸).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۲۱

من سنن التاريخ؟ ليس مجرد تشريع و انما هو سنة، يعنى حاجة اساسية موضوعية حاله حال قانون الزوجية بين الذكر و الانثى هو سنة موضوعية لما ذا صار هكذا؟ و كيف صار هكذا؟ و ما هو دوره كسنة تاريخية من سنن التاريخ؟

لكى نعرف ذلك يجب أن نأخذ المجتمع، نحلل عناصر المجتمع على ضوء القرآن الكريم لنصل الى مغزى قولنا ان الدين سنة من سنن التاريخ.

كيف نحلل عناصر المجتمع؟ نحلل عناصر المجتمع على ضوء هذه الآية الكريمة.

وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً، قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ «۱».

على ضوء هذه الآية التى تعطينا أروع و أدق و أعمق صيغة لتحليل عناصر المجتمع سوف ندرس هذه العناصر و نقارن ما بينها لنعرف فى النهاية أن الدين سنة التاريخ و ليس مجرد حكم شرعى قد يطاع و قد يعصى.

---

(۱) سورة البقرة: الآية (۳۰).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۲۳

الدرس الثامن

عناصر المجتمع فى القرآن الكريم يوم الأربعاء ۱۱/ ج ۲/ ۱۲۹۹ ه

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۲۴

اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم و افضل الصلوات على سيد الخلق محمد و على الهداة الميامين من آله الطاهرين قلنا ان القرآن الكريم يقدم الدين لا بوصفه مجرد قرار تشريعى، بل يقدمه بوصفه سنة من سنن الحياة و التاريخ و مقوما أساسيا لخلق اللّه و لن تجد لخلق اللّه تبديلا، و لكنها سنة من الشكل الثالث. سنة تقبل التحدى على الشوط القصير، و لكن المتحدى يعاقب بسنن التاريخ نفسها. و قد أشير الى هذه الخاصية ايضا بقوله.

وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ هذه العبارة التى ختمت بها الآية الكريمة:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۲۵

النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ «۱».

هذه الجملة الأخيرة إشارة الى ان هذه السنة من الشكل الثالث اى ان للناس ان يتخذوا مواقف سلبية و إهمالية تجاه هذه السنة، و لكنه اهمال على الشوط القصير لا على الشوط الطويل.

قلنا بأن توضيح واقع هذه السنة القرآنية من سنن التاريخ يتطلب منا ان نحلل عناصر المجتمع، ما هى عناصر المجتمع من زاوية نظر القرآن الكريم؟ ما هى مقومات المركب الاجتماعى؟ كيف يتم التنفيذ بين هذه العناصر و المقومات؟ و ضمن أى اطار؟ و أى سنن؟ هذه الاسئلة نحصل على جوابها فى النص القرآنى الشريف الذى تحدث عن خلق الانسان الاول.

وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ «۲»

(۱) سورة الروم الآية ۳۰

(۲) سورة البقرة الآية ۳۰.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۲۶

حينما نستعرض هذه الآية الكريمة نجد ان اللّه سبحانه و تعالى ينبئ الملائكة بأنه قرر انشاء مجتمع على الارض، فما هى العناصر التى يمكن استخلاصها من العبارة القرآنية التى تتحدث عن هذه الحقيقة العظيمة؟

هناك ثلاثة عناصر يمكن استخلاصها من العبارة القرآنية:

أولا- الانسان.

ثانيا- الارض أو الطبيعة على وجه عام إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً فهناك ارض او طبيعة على وجه عام و هناك الانسان الذى يجعله اللّه سبحانه و تعالى على الارض.

ثالثا- العلاقة المعنوية التى تربط الانسان بالأرض و بالطبيعة و تربط من ناحية اخرى الانسان بأخيه الانسان، هذه العلاقة المعنوية التى سمّاها القرآن الكريم بالاستخلاف، هذه هى عناصر المجتمع، الانسان و الطبيعة و العلاقة المعنوية التى تربط الانسان بالطبيعة من ناحية، و تربط الانسان باخيه الانسان من ناحية اخرى، و هى العلاقة التى سميت قرآنيا بالاستخلاف.

و نحن حينما نلاحظ المجتمعات البشرية نجد ان المجتمعات البشرية جميعا تشترك بالعنصر الاول و العنصر

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۲۷

الثانى، لا يوجد مجتمع بدون انسان يعيش مع أخيه الانسان، و لا يوجد مجتمع بدون ارض او طبيعة يمارس الانسان عليها دوره الاجتماعى. و فى هذين العنصرين تتفق المجتمعات التاريخية و البشرية. و اما العنصر الثالث: و هو العلاقة ففى كل مجتمع علاقة كما ذكرنا و لكن المجتمعات تختلف فى طبيعة هذه العلاقة و فى كيفية صياغة هذه الطبيعة.

فالعنصر الثالث هو العنصر المرن و المتحرك من عناصر المجتمع و كل مجتمع يبنى هذه العلاقة المعنوية التى تربط الإنسان من جانب و بالطبيعة بالجانب الآخر، يبنى العلاقة بشكل قد يتفق و قد يختلف مع طريقة بناء المجتمع الآخر لهذه العلاقة.

و هذه العلاقة التى هى العنصر الثالث، العنصر المرن و المتحرك فى تركيب المجتمع لها صيغتان اساسيتان:

احداهما صيغة رباعية و قد اطلق عليها اسم «الصيغة الرباعية» و الاخرى صيغة ثلاثية.

الصيغة الرباعية: هى الصيغة التى ترتبط بموجبها الطبيعة و الانسان مع الانسان، هذه اطراف ثلاثة فالعلاقة

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۲۸

اذا اتخذت صيغة تربط بموجبها بين هذه الاطراف الثلاثة و هى الطبيعة و الانسان مع اخيه الانسان و لكن مع افتراض طرف رابع ايضا، فى هذه العلاقة فاسمى هذه الصيغة بالصيغة الرباعية، الصيغة الرباعية تربط بين هذه الأطراف الثلاثة و لكنها تفترض طرفا رابعا، بعدا رابعا للعلاقة الاجتماعية، و هذا الطرف الرابع ليس داخلا فى اطار المجتمع، خارج عن اطار المجتمع، و لكن الصيغة الرباعية للعلاقة الاجتماعية تعتبر هذا الطرف الرابع مقوما من المقومات الاساسية للعلاقة الاجتماعية على الرغم من انه خارج اطار المجتمع، و هذه الصيغة الرباعية للعلاقة الاجتماعية ذات الابعاد الاربعة هى التى طرحها القرآن الكريم تحت اسم الاستخلاف.

الاستخلاف هو العلاقة الاجتماعية من زاوية نظر القرآن الكريم و الاستخلاف عند التحليل نجد انه ذو اربعة اطراف لان الاستخلاف يفترض مستحلفا ايضا. لا بد من مستخلف و مستخلف عليه، و مستخلف. فهناك اضافة الى الانسان و اخيه الانسان و الطبيعة يوجد طرف رابع فى طبيعة و تكوين علاقة الاستخلاف و هو المستخلف اذ لا استخلاف بدون مستخلف، فالمستخلف هو اللّه سبحانه و تعالى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۲۹

و المستخلف هو الانسان و اخوه الانسان، أى الانسانية ككل الجماعة البشرية و المستخلف عليه هو الارض و ما عليها و من عليها فالعلاقة الاجتماعية ضمن صيغة الاستخلاف تكون ذات اطراف اربعة و هذه الصيغة ترتبط بوجهة نظر معينة نحو الحياة و الكون بوجهة نظر قائلة بانه لا سيد و لا مالك و لا إله للكون و للحياة الا اللّه سبحانه و تعالى و ان دور الانسان فى ممارسة حياته انما هو دور الاستخلاف و الاستئمام و أى علاقة تنشأ بين الانسان و الطبيعة فهى فى جوهرها ليست علاقة مالك بمملوك و انما هى علاقة أمين على امانة استؤمن عليها و اى علاقة تنشأ بين الانسان و اخيه الانسان مهما كان المركز الاجتماعى لهذا او لذاك فهى علاقة استخلاف و تفاعل بقدر ما يكون هذا الانسان او ذاك مؤديا لواجبه بهذه الخلافة و ليست علاقة سيادة او الوهية أو مالكية، هذه الصيغة الاجتماعية الرباعية الاطراف التى صاغها القرآن الكريم تحت اسم الاستخلاف ترتبط بوجهة النظر المعينة للحياة و الكون. فى مقابلها يوجد للعلاقة الاجتماعية صيغة ثلاثية الاطراف، صيغة تربط بين الانسان و الانسان و الطبيعة و لكنها تقطع صلة هذه الاطراف مع الطرف الرابع، تجرد تركيب العلاقة الاجتماعية عن البعد

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۳۰

الرابع، عن اللّه سبحانه و تعالى، و بهذا تتحول نظرة كل جزء الى الجزء و الآخر داخل هذا التركيب و داخل هذه الصيغة.

وجدت الالوان المختلفة للملكية و للسيادة، سيادة الانسان على أخيه الانسان باشكالها المختلفة التى استعرضها التاريخ بعد ان عطل البعد الرابع و بعد ان افترض ان البداية هى الانسان، حينئذ تنوعت على مسرح الصيغة الثلاثية اشكال الملكية و اشكال السيادة، سيادة الانسان على اخيه الانسان.

و بالتدقيق فى المقارنة بين الصيغتين، الصيغة الرباعية و الصيغة الثلاثية يتضح ان اضافة الطرف الرابع للصيغة الرباعية ليس مجرد اضافة عددية، ليس مجرد طرف جديد يضاف الى الاطراف الاخرى، بل ان هذه الاضافة تحدث تغييرا نوعيا فى بنية العلاقة الاجتماعية و فى تركيب الاطراف الثلاثة الاخرى نفسها من هنا ليس هذا مجرد عملية جمع ثلاثة زائد واحد، بل هذا الواحد الذى يضاف الى الثلاثة سوف يعطى للثلاثة روحا أخرى و مفهوما آخر، سوف يحدث تغييرا اساسيا فى بنية هذه العلاقة ذات الاطراف الاربعة كما رأينا، اذ يعود الانسان مع اخيه

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۳۱

الانسان مجرد شركاء فى حمل هذه الامانة و الاستخلاف و تعود الطبيعة بكل ما فيها من ثروات و بكل ما عليها و من عليها مجرد امانة لا بد من رعاية واجبها و اداء حقها.

هذا الطرف الرابع هو فى الحقيقة مغير نوعى لتركيب العلاقة. اذن امامنا للعلاقة الاجتماعية صيغتان صيغة رباعية و صيغة ثلاثية و القرآن الكريم آمن بالصيغة الرباعية كما رأينا فى الآية الكريمة، الاستخلاف هو الصيغة الرباعية للعلاقة الاجتماعية لكن القرآن الكريم اكثر من أنه آمن بالصيغة الرباعية فى المقام اعتبر الصيغة الرباعية سنة من سنن التاريخ، كما رأينا فى الآية السابقة كيف اعتبر الدين سنة من سنن التاريخ كذلك اعتبر الصيغة الرباعية للعلاقة الاجتماعية التى هى صيغة الدين فى الحياة. اعتبر هذه العلاقة بصيغتها الرباعية سنة من سنن التاريخ.

كيف؟

هذه الصيغة الرباعية عرضها القرآن الكريم على نحوين: عرضها تارة بوصفها فاعلية ربانية من زاوية دور اللّه سبحانه و تعالى فى العطاء. و هذا هو العرض الذى قرأناه «انّى جاعل فى الأرض خليفة» هذه العلاقة الرباعية

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۳۲

معروضة فى هذا النص الشريف باعتبارها عطاء من اللّه، جعلا من اللّه يمثل الدور الايجابى و التكريمى من رب العالمين للانسان و

عرض الصيغة الرباعية نفسها من زاوية اخرى. عرضها بوصفها و بنحو ارتباطها مع الانسان بما هى أمير يتقبله الانسان. عرضها من زاوية تقبل الانسان لهذه الخلافة و ذلك فى قوله سبحانه و تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا «۱» الامانة هى الوجه التقبلى للخلافة، و الخلافة هى الوجه الفاعلى و العطائى للامانة، الامانة و الخلافة عبارة عن الاستخلاف و الاستئمان و تحمل الأعباء، عبارة عن الصيغة الرباعية هذه الصيغة الرباعية تارة نلحظها من زاوية ربطها بالفاعل و هو اللّه سبحانه و تعالى، يأتى قوله إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً و اخرى نلحظها من زاوية القابل كما يقول الفلاسفة، من ناحية دور الانسان فى تقبل هذه الخلافة و تحمل هذه الأمانة، يأتى قوله سبحانه و تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ ...

و هذه الامانة التى تقبلها الانسان و تحملها الإنسان عرضت

---

(۱) سورة الاحزاب: الآية (۷۲).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۳۳

على الانسان فتقبلها الإنسان بنفس هذه الآية الكريمة، هذه الامانة او هذه الخلافة او بالتعبير الذى قلناه هذه العلاقة الاجتماعية بصيغتها الرباعية هذه لم تعرض على الانسان فى هذه الآية بوصفها تكليفا او طلبا ليس المقصود من عرضها على الانسان هو العرض على مستوى التكليف و الطلب، و ليس المقصود من تقبل الأمانة هو تقبل هذه الخلافة على مستوى الامتثال و الطاعة، ليس المقصود ان يكون هكذا العرض و ان يكون هكذا التقبل بقرينة ان هذا العرض كان معروضا على الجبال ايضا، على السماوات و الارض و الجبال ايضا، فمن الواضح انه لا- معنى لتكليف السماوات و الجبال و الارض. هذا العرض نعرف من ذلك انه عرض تكوينى لا- عرض تشريعى، هذا العرض معناه ان هذه العطية الربانية كانت تفتش عن الموضع القابل لها فى الطبيعة، الموضع المنسجم معها بطبيعته، بفطرته، بتركيبه التاريخى و الكونى، الجبال لا تنسجم مع هذه الخلافة، السماوات و الارض لا تنسجم مع هذه العلاقة الاجتماعية الرباعية، الكائن الوحيد الذى بحكم تركيبه، بحكم بنيته، بحكم فطرة اللّه التى قرأناها فى الآية السابقة كان منسجما مع هذه العلاقة الاجتماعية ذات الاطراف

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۳۴

الاربعة التى بها تصبح أمانة، تصبح خلافة.

اذن العرض هنا عرض تكوينى و القبول هنا قبول تكوينى و هو معنى سنة التاريخ يعنى ان هذه العلاقة الاجتماعية ذات الاطراف الاربعة داخلة فى تكوينة الانسان و فى تركيب مسار الانسان الطبيعى و التاريخى.

و نلاحظ انه فى هذه الآية الكريمة ايضا جاءت الاشارة الى هوية هذه السنة التاريخية و انها سنة من الشكل الثالث، سنة تقبل التحدى و تقبل العصيان، ليست من تلك السنن التى لا- تقبل التحدى ابدا و لو لحظة، لا- ... هى سنة، هى فطرة و لكن هذه الفطرة تقبل التحدى، كيف اشار القرآن الكريم الى ذلك بعد ان وضّح انها سنة من سنن التاريخ؟

قال: وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا هذه العبارة الاخيرة إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا تأكيد على طابع هذه السنة و ان هذه السنة على الرغم من انها سنة من سنن التاريخ و لكنها تقبل التحدى، تقبل ان يقف الانسان منها موقفا سلبيا، هذا التعبير يوازى تعبير وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ فى الآية السابقة.

اذن الآية السابقة استخلصنا منها ان الدين سنة من سنن

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۳۵

الحياة و من سنن التاريخ و من هذه الآية نستخلص ان صيغة الدين للحياة التى هى عبارة عن العلاقة الاجتماعية الرباعية، العلاقة

الاجتماعية ذات الاطراف الاربعة التى يسميها القرآن بالخلافة و الامانة و الاستخلاف، هذه العلاقة الاجتماعية هى أيضا بدورها سنة من سنن التاريخ بحسب مفهوم القرآن الكريم.

فالحقيقة ان الآية الاولى و الآية الثانية متطابقتان تماما فى مفادهما لانه فى الآية السابقة قال فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ «۱» التعبير بالدين القيم تأكيد على أن ما هو الفطرة و ما هو داخل فى تكوين الانسان و تركيبه و فى مسار تاريخه هو الدين القيم، يعنى أن يكون هذا الدين قيما على الحياة، ان يكون مهيمنا على الحياة، هذه القيمومة فى الدين هى التعبير المجمل فى تلك الآية عن العلاقة الاجتماعية الرباعية التى طرحت فى الآيتين، فى آية إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً و آية إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ اذن فالدين سنة الحياة

---

(۱) سورة الروم الآية ۳۰.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۳۶

و التاريخ و الدين هو الدين القيم، و الدين القيم هو العلاقة الاجتماعية الرباعية الاطراف التى يدخل فيها اللّه بعدا رابعا لكى يحدث تغييرا فى بنية هذه العلاقة لا لكى تكون مجرد اضافة عددية.

هذه مفاهيم القرآن الكريم مستخلصة من هذه الآيات عن هذه السنة، اما كيف؟ نريد ان نتعرف بصورة اوضح و أوسع عن هذه السنة، عن دور التاريخ كسنة، عن دور الدين، عن دور الدين القيم و دور الخلافة و الامانة، عن دور العلاقة الاجتماعية ذات الاطراف الاربعة، دور الطرف الرابع، دوره كسنة من سنن التاريخ، ما هو هذا الطرف الرابع كسنة من سنن التاريخ؟ و كيف كان سنة من سنن التاريخ؟، و كيف كان مقوما اساسيا لمسار الانسان على الساحة التاريخية؟ لكى نتعرف على ذلك لا بد من ان نتعرف على الركنين الثابتين فى العلاقة الاجتماعية، هناك ركنان ثابتان فى العلاقة الاجتماعية: احدهما الانسان و اخوه الانسان و الآخر الطبيعة، الكون، الارض. هذان الركنان داخلان فى الصيغة الثلاثية و داخلان فى الصيغة الرباعية، و من هنا نسميهما بالركنين الثابتين فى العلاقة الاجتماعية لكى نعرف دور الركن الجديد دور هذا الطرف

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۳۷

الرابع، دور اللّه سبحانه و تعالى فى تركيب العلاقة الاجتماعية، يجب ان نعرف مقدمة لذلك دور الركنين الثابتين.

ما هو دور الانسان فى عملية التاريخ من زاوية النظرة القرآنية، من زاوية النظرة للقرآن و الفهم الربانى من القرآن للتاريخ و سنن الحياة؟ ما هو دور الانسان فى العلاقة الاجتماعية؟ و ما هو دور الطبيعة فى العلاقة الاجتماعية على ضوء تشخيص هذين الدورين و تحديد الموقفين؟

سوف يتضح حينئذ دور هذا الطرف الجديد، دور الطرف الرابع الذى تتميز به الصيغة الرباعية عن الصيغة الثلاثية، و يتضح ان هذا الطرف الرابع عنصر ضرورى بحكم سنة التاريخ و تركيب خلقة الانسان و لا بد و ان يندمج مع الاطراف الاخرى لتكوين علاقة اجتماعية رباعية الاطراف.

اذن ففهم هذه السنة التاريخية يتطلب منا ان نتحدث عن دور الانسان و الطبيعة فى عملية التاريخ من زاوية نظر القرآن الكريم و هذا ما يأتى ان شاء اللّه.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۳۹

الدرس التاسع

يوم الثلاثاء ۱۷/ ج ۲/ ۱۳۹۹ ه أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه رب العالمين و صلى اللّه على محمد

و على الميامين من آله الطاهرين قلنا فى ما سبق ان اكتشاف الابعاد الحقيقية لدور الدين فى حركة التاريخ، و المسيرة الاجتماعية للانسان، تتوقف على تحديد و تقييم دور العنصرين او الركنين الثابتين فى الصيغة، و هما الانسان و الطبيعة.

الآن نتحدث عن الانسان، و دور الانسان فى الحركة التاريخية من زاوية مفهوم القرآن الكريم.

من الواضح على ضوء المفاهيم التى قرأناها سابقا أن الانسان أو المحتوى الداخلى للانسان هو الاساس لحركة التاريخ، و أننا ذكرنا ان حركة التاريخ تتميز عن كل الحركات الاخرى بانها حركة غائية لا سببية فقط، ليست مشدودة الى سببها، الى ماضيها، بل هى مشدودة الى الغاية، لانها حركة هادفة لها علة غائية متطلعة الى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۴۰

المستقبل. فالمستقبل هو المحرك لأى نشاط من النشاطات التاريخية. و المستقبل معدوم فعلا و انما يحرك من خلال الوجود الذهنى الذى يتمثل فيه هذا المستقبل.

اذن، الوجود الذهنى هو الحافز و المحرك و المدار لحركة التاريخ، و هذا الوجود الذهنى يجسد من ناحية جانبا فكريا و هو الجانب الذى يضم تصورات الهدف، و ايضا يمثل من جانب آخر الطاقة الارادة التى تحفز الانسان نحو هذا الهدف و تنشطه للتحرك نحو هذا الهدف. اذن هذا الوجود الذهنى الذى يجسد المستقبل المحرك، هذا الوجود الذهنى يعبر بجانب منه عن الفكر و فى جانب آخر منه عن الارادة، و بالامتزاج بين الفكر و الارادة تتحقق فاعلية المستقبل و محركيته للنشاط التاريخى على الساحة الاجتماعية.

و هذان الامران الفكر و الارادة هما فى الحقيقة المحتوى الداخلى الشعورى للانسان، ان المحتوى الداخلى الشعورى للإنسان يتمثل فى هذين الركنين الاساسيين و هما الفكر و الارادة. اذن المحتوى الداخلى للانسان هو الذى يصنع هذه الغايات، و يجسد هذه الاهداف من خلال مزجه بين فكرة و إرادة.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۴۱

و بهذا صحّ القول بأن المحتوى الداخلى للانسان هو الاساس لحركة التاريخ، و البناء الاجتماعى العلوى بكل ما يضم من علاقات و من انظمة و من افكار و تفاصيل هذا البناء العلوى فى الحقيقة مرتبط بهذه القاعدة، بالمحتوى الداخلى للانسان مرتبط بهذه القاعدة و يكون تغيره و تطوره تابعا لتغير هذه القاعدة و تطورها، فاذا تغير الاساس تغير البناء العلوى، و اذا بقى الاساس ثابتا، بقى البناء العلوى ثابتا.

فالعلاقة بين المحتوى الداخلى للانسان و البناء الفوقى و التاريخى للمجتمع، هذه العلاقة علاقة تبعية، علاقة سبب بسبب، هذه العلاقة تمثل سنة تاريخية تقدم الكلام عنها فى قوله سبحانه و تعالى إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ «۱». هذه الآية واضحة جدا فى المفهوم الذى اعطيناه و هو ان المحتوى الداخلى للانسان، هو القاعدة و الاساس للبناء العلوى، للحركة التاريخية، لان الآية الكريمة تتحدث عن تغييرين: احدهما تغيير القوم إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ يعنى تغيير اوضاع القوم، شئون القوم، الأبنية العلوية للقوم، ظواهر القوم، هذه لا

---

(۱) سورة الرعد الآية ۱۱

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۴۲

تتغير حتى يتغير ما بأنفسهم. اذن التغيير الاساس هو تغيير ما بنفس القوم و التغيير النابع المترتب على ذلك هو تغيير حالة القوم، النوعية، التاريخية، الاجتماعية و من الواضح ان المقصود من تغيير ما بالانفس، تغيير ما بأنفس القوم، بحيث يكون المحتوى الداخلى للقوم كقوم و كأمة و كشجرة مباركة تؤتى أكلها كل حين، متغيرا، و الا تغير الفرد الواحد او الفردين او الافراد الثلاثة لا يشكل الاساس لتغير ما بالقوم، و انما يكون تغير ما بالقوم تابعا لتغير ما بأنفسهم كقوم، كأمة، كشجرة مباركة تؤتى اكلها كل حين.

فالمحتوى النفسى و الداخلى للامة كأمة لا لهذا الفرد او لذلك الفرد هو الذى يعتبر أساسا و قاعدة للتغييرات فى البناء العلوى للحركة التاريخية كلها.

و الاسلام و القرآن الكريم يؤمن بأن العمليتين يجب ان تسيرا جنبا الى جنب، عملية صنع الانسان لمحتواه الداخلى و بناء الانسان لنفسه، لفكره، لارادته، لطموحاته، هذا البناء الداخلى يجب ان يسير جنبا الى جنب مع البناء الخارجى، مع بناء الابنية العلوية و لا يمكن ان يفترض انفكاك البناء الخارجى عن البناء الداخلى الا اذا بقى البناء الخارجى بناء مهزوزا متداعيا.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۴۳

و لهذا سمى الاسلام عملية بناء المحتوى الداخلى اذا اتجهت اتجاها صالحا سمّاها «بالجهاد الاكبر». و سمى عملية البناء الخارجى اذا اتجهت اتجاها صالحا بعملية «الجهاد الاصغر» و ربط الجهاد الاصغر بالجهاد الاكبر، و اعتبر ان الجهاد الاصغر اذا فصل عن الجهاد الاكبر فقد محتواه و فقد مضمونه، و فقد قدرته على التغيير الحقيقى على الساحة التاريخية و الاجتماعية.

اذن هاتان العمليتان يجب ان تسيرا جنبا الى جنب. و اذا انفكت احداهما عن الأخرى فقدت حقيقتها و محتواها، و سمى الاسلام العملية الأولى، عملية بناء المحتوى الداخلى بالجهاد الأكبر تأكيدا على الصفة الأساسية للمحتوى الداخلى و توضيحا لهذه الحقيقة، حقيقة ان المحتوى الداخلى للانسان هو الأساس، و لهذا سمى بالجهاد الأكبر. فاذا بقى الجهاد الأصغر منفصلا عن الجهاد الأكبر، حينئذ لا يحقق ذلك فى الحقيقة أى مضمون تغييرى صالح.

القرآن الكريم يعرض لحالة من حالات انفصال عملية البناء الخارجى عن عملية البناء الداخلى قال سبحانه

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۴۴

و تعالى وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ. وَ إِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ «۱» يريد ان يقول بان الانسان اذا لم ينفذ بعملية التغيير الى قلبه، الى اعماق روحه، اذا لم يبن نفسه بناء صالحا لا يمكنه ابدا ان يطرح الكلمات الصالحة، الكلمات الصالحة انما يمكن ان تتحول الى بناء صالح فى المجتمع اذا نبعت عن قلب يعمر بتلك القيم التى تدل عليها تلك الكلمات، و الا فتبقى الكلمات مجرد الفاظ جوفاء دون ان يكون لها مضمون و محتوى.

فمسألة القلب هى التى تعطى للكلمات معناها، للشعارات ابعادها و لعملية البناء الخارجى اهدافها و مسارها.

الى هنا عرفنا ان الاساس فى حركة التاريخ هو المحتوى الداخلى للانسان، و هذا المحتوى الداخلى للانسان يشكل القاعدة. الآن نتساءل:

ما هو الأساس فى هذا المحتوى الداخلى نفسه؟ ما هى

---

(۱) سورة البقرة الآية ۲۰۵.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۴۵

نقطة البدء فى بناء هذا المحتوى الداخلى للانسان؟ و ما هو المحور الذى يستقطب عملية بناء المحتوى الداخلى للانسانية؟ المحور الذى يستقطب عملية البناء الداخلى للإنسانية هو المثل الاعلى.

عرفنا ان المحتوى الداخلى للانسان يجسد الغايات التى تحرك التاريخ، يجسدها من خلال وجودات ذهنية تمتزج فيها الارادة بالتفكير. و هذه الغايات التى تحرك التاريخ يحددها المثل الاعلى. فانها جميعا تنبثق عن وجهة نظر رئيسية الى مثل اعلى للانسان فى حياته، للجماعة البشرية فى حياتها. و هذا المثل الأعلى هو الذى يحدد الغايات التفصيلية، و ينبثق عنه هذا الهدف الجزئى و ذلك الهدف الجزئى، فالغايات بنفسها محركات للتاريخ و هى بدورها نتاج لقاعدة اعمق منها فى المحتوى الداخلى للانسان و هو المثل

الأعلى الذى تتمحور فيه كل تلك الغايات و تعود اليه كل تلك الاهداف.

فبقدر ما يكون المثل الأعلى للجماعة البشرية صالحا و عاليا و ممتدا تكون الغايات صالحة و ممتدة، و بقدر ما يكون هذا المثل الأعلى محدودا او منخفضا تكون الغايات المنبثقة عنه محدودة و منخفضة ايضا.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۴۶

اذن المثل الاعلى هو نقطة البدء فى بناء المحتوى الداخلى للجماعة البشرية، و هذا المثل الاعلى يرتبط فى الحقيقة بوجهة نظر عامة الى الحياة و الكون، يتحدد من قبل كل جماعة بشرية على اساس وجهة نظرها العامة نحو الحياة و الكون، على ضوء ذلك تحدد مثلها الاعلى.

و من خلال الطاقة الروحية التى تتناسب مع ذلك المثل الاعلى و مع وجهة نظرها الى الحياة و الكون تحقق ارادتها للسير نحو هذا المثل، و فى طريق هذا المثل.

اذن هذا المثل الاعلى هو فى الحقيقة ايضا يتجسد من خلال رؤية فكرية، و من خلال طاقة روحية تزحف بالانسان فى طريقه، و كل جماعة اختارت مثلها الاعلى، فقد اختارت فى الحقيقة سبيلها و طريقها و منعطفات هذا السبيل و هذا الطريق.

كما رأينا ان الحركة التاريخية تتميّز عن اى حركة أخرى فى الكون بانها حركة غائية، حركة هادفة، كذلك تتميز و تتمايز الحركات التاريخية انفسها بعضها عن بعض بمثلها العليا. فلكل حركة تاريخية مثلها الاعلى، و هذا المثل الاعلى هو الذى يحدد الغايات و الاهداف و هذه الاهداف

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۴۷

و الغايات هى التى تحدد النشاطات و التحركات ضمن مسار ذلك المثل الاعلى.

و القرآن الكريم و التعبير الدينى يطلق على المثل الاعلى فى جملة من الحالات اسم الإله، باعتبار ان المثل الاعلى هو القائد الآمر المطاع الموجّه، و هذه صفات يراها القرآن للإله، و لهذا يعبر عن كل من يكون مثلا اعلى، كل ما يحتل هذا المركز مركز المثل الاعلى يعبر عنه بالإله لانه هو الذى يصنع مسار التاريخ. حتى ورد فى قوله سبحانه و تعالى أَ رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ «۱» عبر حتى عن الهوى بانه إله حينما يتصاعد هذا الهوى تصاعدا مصطنعا فيصبح هو المثل الاعلى و هو الغاية القصوى لهذا الفرد او لذاك.

فالمثل العليا بحسب التعبير القرآنى و الدينى هى آلهة فى الحقيقة لانها هى المعبودة حقا و هى الآمرة و الناهية حقا و هى المحركة حقا، فهى آلهة فى المفهوم الدينى و الاجتماعى.

و هذه المثل العليا التى تتبناها الجماعات البشرية على ثلاثة اقسام:

---

(۱) سورة الفرقان الآية ۴۳.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۴۸

القسم الأول: المثل الاعلى الذى يستمد تصوره من الواقع نفسه، و يكون منتزعا من واقع ما تعيشه الجماعة البشرية من ظروف و ملابسات، أى ان الوجود الذهنى الذى صاغ المستقبل هنا لم يستطع ان يرتفع على هذا الواقع و ان يتجاوز هذا الواقع بل انتزع مثله الاعلى من هذا الواقع بحدوده، بقيوده، بشئونه.

و حينما يكون المثل الاعلى منتزعا عن واقع الجماعة بحدودها و قيودها و شئونها يصبح حالة تكرارية، يصبح بتعبير آخر محاولة لتجميد هذا الواقع و حمله الى المستقبل، بدلا عن التطلع الى المستقبل يكون فى الحقيقة تجميدا لهذا الواقع و تحويلا لهذا الواقع من حالة نسبية و من امر محدود الى امر مطلق لان الانسان يعترضه هدفا و مثلا اعلى و حينما يتحول هذا الواقع من امر محدود الى هدف مطلق، الى حقيقة مطلقة لا يتصور الانسان شيئا وراءها، حينما يتحول الى ذلك، سوف تكون حركة التاريخ حركة تكرارية سوف

يكون المستقبل تكرارا للواقع و حيث ان هذا الواقع هو نفسه كان تكرارا لحالة سابقة، و لهذا سوف يكون المستقبل تكرارا للواقع و للماضى.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۴۹

هذا النوع من الآلهة يعتمد على تجميد الواقع و تحويل ظروفه النسبية الى ظروف مطلقة، لكى لا تستطيع الجماعة البشرية ان تتجاوز الواقع و ان ترتفع بطموحاتها عن هذا الواقع.

تبنى هذا النوع من المثل العليا له أحد سببين:

السبب الاول الالفة و العادة و الخمول و الضياع، هذا سبب نفسى، الألفة و الخمول و الضياع سبب نفسى اذا انتشرت هذه الحالة النفسية: حالة الخمول و الركود و الالفة و الضياع فى قوم، فى مجتمع حينئذ يتجمد ذلك المجتمع، لانه سوف يصنع إلهه من واقعه، سوف يحول هذا الواقع النسبى المحدود الذى يعيشه الى حقيقة مطلقة، الى مثل اعلى الى هدف لا يرى وراءه شيئا.

و هذا فى الحقيقة هو ما عرضه القرآن الكريم فى كثير من الآيات التى تحدثت عن المجتمعات التى واجهت الانبياء حينما جاء الأنبياء الى تلك المجتمعات بمثل عليا حقيقة ترتفع عن الواقع و تريد ان تحرك هذا الواقع و تنتزعه من حدوده النسبية الى وضع آخر، واجه هؤلاء الانبياء مجتمعات سادتها حالة الالفة و العادة و التميع فكان هذا

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۵۰

المجتمع يرد على دعوة الانبياء و يقول باننا وجدنا آباءنا على هذه السنة، وجدنا آباءنا على هذه الطريقة و نحن متمسكون بمثلهم الاعلى، سيطرة الواقع على اذهانهم و تغلغل الحس فى طموحاتهم بلغ الى درجة تحول هذا الإنسان من خلالها الى انسان حسى لا الى انسان مفكر، الى انسان يكون ابن يومه دائما، ابن واقعه دائما لا أبا يومه و لا أبا واقعه، و لهذا لا يستطيع ان يرتفع على هذا الواقع.

استمعوا الى القرآن الكريم و هو يقول: قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ «۱».

قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا، أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ «۲». قالُوا أَ جِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا وَ تَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِي الْأَرْضِ وَ ما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ «۳»، أَ تَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا وَ إِنَّنا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبٍ «۴»،

---

(۱) سورة البقرة الآية (۱۷۰).

(۲) سورة المائدة الآية (۱۰۴).

(۳) سورة يونس الآية (۷۸).

(۴) سورة هود الآية (۶۲).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۵۱

قالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِي اللَّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرَكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى، قالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِينٍ «۱» بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ «۲» فى كل هذه الآيات يستعرض القرآن الكريم السبب الاول لتبنى المجتمع هذا المثل الاعلى المنخفض.

هؤلاء بحكم الالفة و العادة و بحكم التميّع و الفراغ وجدوا سنة قائمة، وجدوا وضعا قائما فلم يسمحوا لانفسهم بأن يتجاوزوه، جسدوه كمثل اعلى و عارضوا به دعوات الانبياء على مر التاريخ، هذا هو السبب الاول لتبنى هذا المثل الاعلى المنخفض.

و السبب الثانى لتبنى هذا المثل الاعلى المنخفض هو التسلط الفرعونى على مرّ التاريخ، الفراعنة على مر التاريخ حينما يحتلون مراكزهم يجدون فى أى تطلع الى المستقبل،

(۱) سورة إبراهيم: الآية (۱۰).

(۲) سورة الزخرف الآية (۲۲).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۵۲

و فى أى تجاوز للواقع الذى سيطروا عليه، يجدون فى ذلك زعزعة لوجودهم و هزّا لمراكزهم.

من هنا من مصلحة فرعون على مرّ التاريخ ان يغمض عيون الناس على هذا الواقع، ان يحول الواقع الذى يعيشه مع الناس الى مطلق، الى إله، الى مثل أعلى لا يمكن تجاوزه، يحاول ان يحبس و ان يضع كل الامة فى اطار نظرته هو، فى اطار وجوده هو لكى لا يمكن لهذه الامة ان تفتش عن مثل اعلى ينقلها من الحاضر الى المستقبل من واقعه الى طموح آخر اكبر من هذا الواقع. هنا السبب اجتماعى لا نفسى، السبب خارجى لا داخلى.

و هذا ايضا ما عرضه القرآن الكريم وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِى «۱» قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ إِلَّا ما أَرى وَ ما أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشادِ «۲» هنا فرعون يقول ما أريكم الا ما ارى يريد ان يضع الناس الذين يعبدونه كلهم فى اطار رؤيته فى اطار نظرته، يحول هذه النظرة و هذا الواقع، الى مطلق لا يمكن تجاوزه هنا الذى يجعل المجتمع يتبنى مثلا اعلى مستمدا من

---

(۱) سورة القصص الآية ۳۸

(۲) سورة الغافر الآية ۲۹

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۵۳

الواقع هو التسلط الفرعونى الذى يرى فى تجاوز هذا المثل الأعلى خطرا عليه و على وجوده.

قال اللّه سبحانه و تعالى: ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى وَ أَخاهُ هارُونَ بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ. إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً عالِينَ. فَقالُوا أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا وَ قَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ «۱» نحن غير مستعدين ان نؤمن بهذا المثل الاعلى الذى جاء به موسى لأنه سوف يزعزع عبادة قوم موسى و هارون لهم. اذن هذا التجميد ضمن اطار الواقع الذى تعيشه الجماعة أى جماعة بشرية ينشأ من حرص أولئك الذين تسلطوا على هذه الجماعة على أن يضمنوا وجودهم و يضمنوا الواقع الذى هم فيه و هم بناته هذا هو السبب الثانى الذى عرضه القرآن الكريم. و القرآن الكريم يسمى هذا النوع من القوى التى تحاول ان تحول هذا الواقع المحدود الى مطلق و تحصر الجماعة البشرية فى أطار هذا المحدود، يسمى هذا بالطاغوت. قال سبحانه و تعالى: وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها وَ أَنابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرى فَبَشِّرْ عِبادِ

---

(۱) سورة المؤمنون: الآية (۴۵- ۴۷).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۵۴

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ «۱». لاحظوا ذكر صفة اساسية مميزة لمن اجتنب عبادة الطاغوت.

ما هى الصفة الأساسية المميزة التى ذكرها القرآن لمن اجتنب عبادة الطاغوت؟

قال فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ «۱».

يعنى لم يجعلوا هناك قيدا على ذهنهم، لم يجعلوا اطارا محدودا لا يمكنهم ان يتجاوزوه، جعلوا الحقيقة مدار همّهم جعلوا الحقيقة هدفهم و لهذا يستمعون القول فيتبعون أحسنه يعنى هم فى حالة طموح، فى حالة تطلع و موضوعية فى حالة تسمح لهم بان يجدوا الحقيقة. بينما لو كانوا يعبدون الطاغوت، حينئذ سوف يكونون فى اطار هذا الواقع الذى يريده الطاغوت، سوف لن يستطيعوا أن

يستمعوا الى القول فيتبعون أحسنه، و انما يتبعون فقط ما يراد لهم ان يتبعوه. هذا هو السبب الثانى لا تباع و تبنى هذه المثل.

---

(۱) سورة الزمر الآية (۱۷- ۱۸).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۵۵

اذن خلاصة ما مرّ بنا حتى الآن: أن التاريخ يتحرك من خلال البناء الداخلى للانسان، الذى يصنع للانسان غاياته هذه الغايات تبنى على أساس المثل الاعلى الذى تنبثق عنه تلك الغايات. لكل مجتمع مثل أعلى و لكل مثل أعلى مسار و مسيرة، و هذا المثل الاعلى هو الذى يحدد فى تلك المسيرة معالم الطريق و هذا المثل الاعلى على ثلاثة أقسام حتى الآن استعرضنا القسم الأول من المثل العليا و هو المثل الاعلى الذى ينبثق تصوره عن الواقع و يكون منتزعا عن الواقع الذى تعيشه الجماعة و هذا مثل أعلى تكرارى، و تكون الحركة التاريخية فى ظل هذا المثل الاعلى حركة تكرارية، أخذ الحاضر لكى يكون هو المستقبل و قلنا بان تبنى هذا النوع من المثل الاعلى يقود الى أحد سببين بحسب تصورات القرآن الكريم:

السبب الأول سبب نفسى و هو الألفة و العادة و الضياع.

و السبب الآخر سبب خارجى و هو تسلط الفراعنة و الطواغيت على مرّ التاريخ.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۵۷

الدرس العاشر

اشارة

يوم الأربعاء ۱۸/ ج ۲/ ۱۳۸۹ ه اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم و افضل الصلوات على سيد الخلق محمد و على الهداة الميامين من آله الطاهرين هذه المثل العليا المنخفضة المنتزعة عن الواقع و التى تحدثنا عنها فى الأمس فى كثير من الاحيان تتخذ طابع الدين، و يسبغ عليها هذا الطابع من اجل اعطائها قدسية تحافظ على بقائها و استمرارها على الساحة، كما رأينا فى الآيات الكريمة المتقدمة، كيف ان المجتمعات التى رفضت دعوة الانبياء كثيرا ما كانت تصر على التمسك بعبادة الآباء و بدين الآباء بالمثل الاعلى المعبود للآباء، بل ان الحقيقة أن كل مثل اعلى من هذه المثل العليا المنخفضة لا ينفك عن الثوب الدينى سواء أبرز بشكل صريح او لم يبرز لان المثل الاعلى دائما يحتل مركز الإله بحسب التعبير القرآنى و الاسلامى، و دائما تستبطن علاقة الامة بمثلها الاعلى نوعا من العبادة، من العبادة لهذا المثل

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۵۸

الاعلى و ليس الدين بشكله العام الا علاقة عابد بمعبود.

اذن المثل الاعلى لا ينفك عن الثوب الدينى سواء كان ثوبا دينيا صريحا، او ثوبا دينيا مستترا مبرقعا تحت شعارات اخرى فهو فى جوهره دين و فى جوهره عبادة و انسياق. الا ان هذه الاديان التى تفرزها هذه المثل العليا المنخفضة اديان محدودة تبعا لمحدودية نفس هذه المثل، لمّا كانت هذه المثل مثلا منخفضة و محدودة قد حولت بصورة مصطنعة الى مطلقات و الا هى فى الحقيقة ليست الا تصورات جزئية عبر الطريق الطويل الطويل للانسان، الا أنها حولت الى مطلقات بصورة مصطنعة.

اذن هذه المحدودية فى المثل تعكس الاديان التى تفرزها، فالاديان التى تفرزها هذه المثل او بالتعبير الأحرى الاديان التى يفرزها الانسان من خلال صنع هذه المثل، و من خلال عملقة هذه المثل و تطويرها من تصورات الى مطلقات، هذه الاديان تكون اديانا محدودة ضئيلة، أديان التجزئة، هذه الأديان هى أديان التجزئة فى مقابل دين التوحيد الذى سوف نتكلم عنه حينما نتحدث عن مثله

الأعلى القادر على استيعاب البشرية بابعادها، هذه الأديان

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۵۹

أديان التجزئة هذه الآلهة، الآلهة التى يفرزها الانسان بين حين و حين هى التى يعبر عنها القرآن الكريم بقوله إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ «۱» هذا الإله الذى يفرزه الانسان، هذا الدين الذى يصنعه الانسان، و هذا المثل الاعلى الذى هو نتاج بشرى، هذا لا يمكن ان يكون هو الدين القيم، لا يمكن ان يكون هو المصعّد الحقيقى للمسيرة البشرية، لان المسيرة البشرية لا يمكن ان تخلق إلهها بيدها.

المجتمعات و الامم التى تعيش هذا المثل الاعلى المنخفض المستمد من واقع الحياة، قلنا بأنها تعيش حالة تكرارية يعنى ان حركة التاريخ تصبح حركة تماثلية و تكرارية و هذه الأمة تأخذ بيدها ماضيها الى الحاضر، و حاضرها الى المستقبل ليس لها مستقبل فى الحقيقة و انما مستقبلها هو ماضيها.

و من هنا اذا تقدمنا خطوة فى تحليل و مراقبة و مشاهدة اوضاع هذه الامة التى تتمسك بمثل من هذا القبيل، اذا تقدمنا خطوة الى الامام نجد ان هذه الامة بالتدريج سوف تفقد ولاءها لهذا المثل ايضا، لن تظل متمسكة بهذا المثل

---

(۱) سورة النجم الآية ۲۳.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۶۰

لان هذا المثل بعد ان يفقد فاعليته و قدرته على العطاء، بعد ان يصبح نسخة من الواقع، بعد ان يصبح أمرا مفروضا و محسوسا و ملموسا، بعد ان يصبح غير قادر على تطوير البشرية و تصعيدها فى مسارها الطويل، تفقد هذه البشرية، هذه الجماعة تفقد بالتدريج ولاءها لهذا المثل و معنى انها تفقد ولاءها لهذا المثل يعنى ان القاعدة الجماهيرية الواسعة فى هذه الامة سوف تتمزق وحدتها لأن وحدة هذه القاعدة انما هى بالمثل الواحد فاذا ضاع المثل ضاعت هذه القاعدة. هذه الامة بعد ان تفقد ولاءها لهذا المثل تصاب بالتشتت، بالتمزق، بالتبعثر، تكون كما وصف القرآن الكريم بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ «۱» بأسهم بينهم شديد باعتبار أن التناقضات تبدأ فى داخل هذه الأمة هذه الامة التى لا يجمعها مثل اعلى لا تجمعها طريقة مثلى، لا يجمعها سبيل واحد قلوب متفرقة أهواء متشتتة، ارواح متبعثرة، عقول مجمدة فى حالة من هذا القبيل لا تبقى امة و انما يبقى شبح امة فقط. و فى ظل هذا الشبح سوف ينصرف كل فرد فى هذه الامة ينصرف الى همومه الصغيرة، الى قضاياه

---

(۱) سورة الحشر الآية (۱۴).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۶۱

المحدودة لانه لا يوجد هناك مثل اعلى تلتف حوله الطاقات، تلتف حوله القابليات و الامكانات تحشد من اجله التضحيات لا يوجد هذا المثل الاعلى، حينما يسقط هذا المثل الاعلى تسقط الراية التى توحد الامة، يبقى كل انسان مشدود الى حاجاته المحدودة، الى مصالحه الشخصية، الى تفكيره فى اموره الخاصة، كيف يصبح؟

كيف يسمى؟ كيف يأكل؟ كيف يشرب؟ كيف يوفر الراحة و الاستقرار له و لاولاده و لعائلته؟ أى راحة؟ أى استقرار؟

الراحة بالمعنى الرخيص من الراحة، و الاستقرار بالمعنى القصير من الاستقرار يبقى كل انسان سجين حاجاته الخاصة، سجين رغباته الخاصة، يبقى يدور، يبقى يلتف حول هذه الرغبات و حول هذه الحاجات لا يرى غيرها اذ لا يوجد المثل، اذ ضاع المثل و تفتت و سقط فى حالة من حالات هذه الامة، قلنا بأن الامة تتحول الى شبح لا تبقى امة حقيقية، و انما هناك شبح امة. و قد علمنا التاريخ انه فى حالة من هذا القبيل توجد ثلاث اجراءات، ثلاث بدائل يمكن ان تنطبق على حالة هذه الامة الشبح

الإجراء التاريخى الأول

: هو ان تتداعى هذه الامة أمام

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۶۲

غزو عسكرى من الخارج لان هذه الامة التى افرغت من محتواها، التى تخلّت عن وجودها كأمة، و بقيت كأفراد كل انسان يفكر فى طعامه، يفكر فى لباسه، يفكر فى دار سكناه و لا يفكر فى الأمة لن يبقى هناك من يفكر فى الأمة، و انما كل انسان يفكر فى حاجاته حين يفكر. اذن فى وضع من هذا القبيل يمكن ان تتداعى هذه الأمة امام غزو من الخارج، و هذا ما وقع بالفعل بعد ان فقد المسلمون مثلهم الاعلى و فقدوا ولاءهم لهذا المثل الاعلى و وقعوا فريسة غزو التتار حينما سقطت حضارة المسلمين بايدى التتار هذا هو الاجراء التاريخى الاول.

و الإجراء التاريخى الثانى

: هو الذوبان و الانصهار فى مثل اعلى اجنبى فى مثل مستورد من الخارج هذه الامة بعد ان فقدت مثلها العليا النابعة منها فقدت فاعليتها و أصالتها حينئذ تفتش عن مثل اعلى من الخارج لكى تعطيه ولاءها، لكى تمنحه قيادتها. هذا هو الإجراء التاريخى الثانى.

و الإجراء التاريخى الثالث

: ان ينشأ فى اعماق هذه الامة بدور اعادة المثل الاعلى من جديد بمستوى العصر الذى تعيشه تلك الامة، هذان الاجراءان، الإجراء الثانى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۶۳

و الإجراء الثالث وقف الأمة امامهما على مفترق طريقين حينما دخلت عصر الاستعمار، حينما دخلت الأمة عصر الاستعمار وقفت على مفترق طريقين: كان هناك طريق يدعوها الى الانصهار فى مثل اعلى من الخارج هذا الطريق الذى طبقه جملة من حكام المسلمين فى بلاد المسلمين «رضاخان» فى ايران و «أتاتورك» فى تركيا، حاول هؤلاء ان يجسدوا المثل الاعلى للانسان الاوروبى المنتصر، و يطبقوا هذا المثل الاعلى و يكسبوا ولاء المسلمين انفسهم لهذا المثل الاعلى، بعد ان ضاع المثل الاعلى فى داخل المسلمين. بينما رواد الفكر الاسلامى فى بدايات عصر الاستعمار و فى اواخر الفترة التى سبقت عصر الاستعمار، رواد الفكر الاسلامى و رواد النهضة الاسلامية أطلقوا جهودهم فى سبيل الاجراء الثالث فى سبيل إعادة الحياة الى الاسلام من جديد، فى سبيل انتشار هذا المثل الاعلى و إعادة الحياة اليه و تقديمه بلغة العصر و بمستوى العصر و بمستوى حاجات المسلمين. الامة تتحول الى شبح فتواجه أحد هذه الاجراءات الثلاثة.

الآن تكلمنا عن امة هذه الآلهة المنخفضة، حينما نتقدم خطوة، اذا تقدمنا خطوة نجد المثل التكرارى يتمزق المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم ۱۶۴ و الإجراء التاريخى الثالث ..... ص : ۱۶۲

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۶۴

ان الامة تفقد ولاءها، ان الامة تتحول الى شبح تواجه أحد هذه الاجراءات الثلاثة، الآن نرجع الى الوراء خطوة. اذا رجعنا الى الوراء خطوة، سوف نواجه النوع الثانى من الآلهة من المثل العليا، أ ليس قلنا فى البداية ان المثل العليا عكس ثلاثة انواع. تكلمنا الآن عن النوع الاول.

إذا رجعنا خطوة الى الوراء- هذا ما سوف اشرح معناه بعد لحظات- سوف نواجه النوع الثانى من الآلهة من المثل العليا. هذا النوع

الثانى يعبر عن كل مثل أعلى للامـة يكون مشـتقا من طموح الامـة، من تطلعها الى المسـتقبل. ليس هذا المثل تعبيرا تكراريا عن الواقع بل هو تطلع الى المسـتقبل، تحفز نحو الجديد نحو الابداع و التطوير، و لكنّ هذا المثل منتزع عن خطوة واحدة من المستقبل منتزع عن جزء من هـذا الطريق الطويل المسـتقبلى، أى ان هـذا الطموح الذى منه انتزعت الامة مثلها، كان طموحا محدودا كان طموحا مقيدا لم يستطيع ان يتجاوز المسافات الطويلة، و انما استطاع ان يكوّن رؤية مستقبلية محدودة، و هذه الرؤية المستقبلية المحدودة انتزع منها مثله الاعلى.

و فى هذا المثل الاعلى جانب موضوعى صحيح

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۶۵

و لكنه، يحتوى على امكانيـات خطر كبير امـا الجـانب لموضوعى الصـحيح فهو ان الانسان عبر مسيرته الطويلـة لا يمكنه ان يسـتوعب برؤيته الطريق الطويل الطويل كله، لا يمكنه ان يسـتوعب المطلق لان الـذهن البشـرى محـدود و الذهن البشـرى المحدود لا يمكن ان يسـتوعب المطلق و انما هو دائما يسـتوعب نفحـة من المطلق، شـيئا من المطلق يأخـذ بيـده قبضة من هذا المطلق تنير له الطريق، تنير له الدرب. فكون دائرة الاستيعاب البشرى محدودة، هذا أمر طبيعى أمر صحيح و موضوعى.

و لكن الخطير فى هـذه المسألة ان هذه القبضة التى يقبضـها الانسان من المطلق، هذه القبضة، هذه الكومة المحدودة، هذه الومضة من النور التى يقبضها من هذا المطلق، يحولها الى نور السماوات و الارض، يحولها الى مثل اعلى، يحولها الى مطلق.

هنا يكمن الخطر لانه حينما يصـنع مثله الاعلى و ينتزع هـذا المثل الأعلى من تصور ذهنى محـدود للمسـتقبل، لكن يحوّل هـذا التصور الـذهنى المحـدود الى مطلق، حينئـذ هذا المثل الاعلى سوف يخدمه فى المرحلة الحاضـرة سوف يهيّئ له امكانيات النمو بقدر طاقات هذا المثل، بقدر ما

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۶۶

يمثل للمسـتقبل، بقـدر امكاناته المسـتقبلية سوف يحرك هـذا الانسان و ينشط هـذا الانسان لكن سـرعان ما سوف يصل الى حـدوده القصوى إلى حـدود هـذا المثـل القصوى، و حينئـذ سوف يتحول هـذا المثـل نفسه الى قيـد للمسـيرة، الى عائق عن التطور، الى مجمّد لحركـة الانسـان لانـه اصـبح مثلا، أصـبح الها، أصـبح دينا؛ أصـبح واقعا قائما، و حينئـذ سوف يكون بنفسه عقبـة أمام اسـتمرار زحف الانسان نحو كماله الحقيقى.

و هـذا المثل الـذى يعمم خطأ يحول من محـدود الى مطلق خطأ التعميم فيه تارة يكون تعميما افقيا خاطئا و أخرى تعميما زمنيا خاطئا، هناك تعميمان خاطئان لهذا المثل، هناك تعميم افقى خاطئ و هناك تعميم زمنى عمودى خاطئ:

التعميم الافقى الخاطئ: ان ينتزع الانسان من تصوره المسـتقبلى مثلا و يعتبر ان هـذا المثل يضم كل قيم الانسان التى يجاهد من اجلها، و يناضل فى سبيلها. بينما هـذا المثل على الرغم من صـحته الا انه لا يمثل الا جزءا من هـذه القيم. فهذا التعميم تعميم افقى خاطئ هذا المثل

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۶۷

يكون معبرا عن جزء من افق الحركة بينما جرد منه ما يملأ كل افق الحركة.

الانسان الاوروبى الحـديث فى بـدايات عصـر النهضـة وضع مثلا اعلى و هو الحرية جعل الحرية مثلا اعلى لانه رأى ان الانسان الغربى كان محطّما و مقيّدا، كانت على يـديه الاغلال فى كل ساحات الحياة، كان مقيـدا فى عقائده العلمية و الدينية بحكم الكنيسة و تعنت الكنيسـة، كان مقيـدا فى قوته و رزقه بأنظمـة الاقطاع، كان مقيـدا اينما يسـير، اراد الانسان الاوروبى الرائد لعصـر النهضة ان يحرر هذا الانسان من هذه القيود، من قيود الكنيسة، من قيود الاقطاع اراد ان يجعل من الانسان كائنا مختارا اذا اراد ان يفعل يفعل، يفكر بعقله لا بعقل غيره و يتصور و يتأمل بذاته و لا يستمد هذا التصور كصيغ ناجزة من الآخرين.

و هذا شيء صحيح الا ان الشيء الخاطئ فى ذلك هو التعميم الافقى فان هذه الحرية بمعنى كسر القيود عن هذا الانسان، هذا قيمة من القيم، هذا اطار للقيم، و لكن هذا وحده لا- يصنع الانسان ليس هذا هو المثل الأعلى فان هذا وحده لا يصنع الانسان، انت لا تستطيع ان تصنع الانسان بان تكسر عنه القيود و تقول له افعل ما شئت، لا يوجد

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۶۸

انسان و لا كائن، لا يوجد اقطاعى و لا قسيس و لا سلطان و لا طاغوت يضطرك الى موقف او يفرض عليك موقفا، هذا وحده لا يكفى فان كسر القيود انما يشكل الاطار للتنمية البشرية الصالحة، يحتاج هذا الى مضمون الى محتوى مجرد انه يستطيع ان يتصرف، يستطيع ان يمشى فى الاسواق هذا لا يكفى، اما كيف يمشى؟ ما هو الهدف الذى من اجله يمشى فى الاسواق؟ المحتوى و المضمون هو الذى فات الانسان الاوروبى، الانسان الاوروبى جعل الحرية هدفا و هذا صحيح و لكنه صيّر من هذا الهدف مثلا اعلى بينما هذا الهدف ليس الا اطارا فى الحقيقة و هذا الاطار بحاجة الى محتوى و الى مضمون و اذا جرد هذا الاطار عن محتواه سوف يؤدى الى الويل و الدمار، الى الويل الذى تواجهه الحضارة الغربية اليوم التى صنعت للبشرية كل وسائل الدمار لان الاطار بقى بلا محتوى بقى بلا مضمون. حينئذ هذا هو مثال للتعميم الافقى، التعميم الافقى للمثل الاعلى.

و اما التعميم الزمنى ايضا، كذلك على مر التاريخ توجد خطوات ناجحة تاريخيا و لكنها لا يجوز ان تحول من محدودها كخطوة الى مطلق، الى مثل اعلى يجب ان تكون

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۶۹

ممارسة تلك الخطوة ضمن المثل الاعلى لا ان تحول هذه الخطوة الى مثل اعلى حينما اجتمع فى التاريخ مجموعة من الاسر فشكلوا القبيلة، حينما اجتمعت مجموعة من القبائل فشكلت عشيرة، حينما اجتمعت مجموعة من العشائر فشكلت أمة، هذه الخطوات صحيحة فى تقدم البشرية و توحيد البشرية و لكن كل خطوة من هذه لا يجب ان تتحول الى مثل اعلى لا يجوز ان تتحول الى مطلق، لا يجوز ان تكون العشيرة هى المطلق الذى تحارب من أجله هذا الانسان، و انما المطلق الذى يحارب من اجله الانسان يبقى هو ذاك المطلق الحقيقى، يبقى هو اللّه سبحانه و تعالى، الخطوة تبقى كأسلوب و لكن المطلق يبقى هو اللّه سبحانه و تعالى هذا التعميم الزمنى ايضا هو شكل من التعميم الخاطئ حينما يحول هذا المثل المنتزع من خطوة محدودة عبر الزمن يحول الى مثل اعلى.

و حال هذا الانسان الذى يحول هذه الرؤية المحدودة من عبر الزمن يحولها الى مطلق حاله حال الانسان الذى يتطلع الى الافق فلا تساعده عينه الاعلى النظر الى مسافة محدودة فيخيل له بأن الدنيا تنتهى عند الافق الذى يراه، ان السماء تنطبق على الارض على مسافة قريبة منه و قد يخيل

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۷۰

له وجود الماء، وجود السراب على مقربة منه. الا ان هذا فى الحقيقة ناشئ من عجز عينه عن ان يتابع المسافة الارضية الطويلة الامد.

كذلك هنا هذا الانسان الذى يقف على طريق التاريخ الطويل، على طريق المسيرة البشرية، له افق بحكم قصوره الذهنى، بحكم محدودية الذهن البشرى، له افق كذلك الافق الجغرافى و لكن هذا الافق يجب ان يتعامل معه كافق، لا كمطلق كما اننا نحن على الصعيد الجغرافى لا- نتعامل مع هذا الافق الذى نراه على بعد عشرين مترا او مائتى متر انه نهاية الارض، و انما نتعامل معه بأنه أفق، كذلك ايضا هنا يجب ان يتعامل هذا الانسان معه كافق لا يحول هذا الافق التاريخى الى مثل اعلى و الا كان من قبيل من يسير نحو سراب.

انظروا الى التمثيل الرائع فى قوله سبحانه و تعالى:

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ «۱».

(۱) سورة النور الآية (۳۹).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۷۱

يعبر القرآن عن كل هذه المثل المصطنعة من دون اللّه سبحانه و تعالى بانها كبيت العنكبوت يقول سبحانه و تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ «۱».

اذا قارنا بين هذين النوعين من المثل العليا: المثل العليا من الواقع و المثل العليا المشتقة من طموح محدود، يمكننا ان نلاحظ ان المثل العليا المشتقة من الواقع كثيرا ما تكون قد مرت بمرحلة هذه المثل العليا التى تعبر عن طموح محدود، يعنى كثيرا ما تكون تلك المثل من النوع الاول امتدادا للمثل من النوع الثانى، بأن يبدأ المثل و يبدأ هذا المثل الاعلى مشتقا من طموح، لكن حينما يتحقق هذا الطموح المحدود، حينما تصل البشرية الى النقطة التى أثارت هذا المثل، يتحول هذا المثل الى واقع محدود بحسب الخارج، حينئذ يصبح مثلا تكراريا.

من هنا قلنا فى ما سبق أننا لو رجعنا خطوة الى الوراء بالنسبة الى آلهة النوع الاول، مثل النوع الاول، لو رجعنا

(۱) سورة العنكبوت، الآية (۴۱).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۷۲

خطوة الى الوراء لوجدنا آلهة النوع الثانى فالمسألة فى كثير من الاحيان تبدأ هكذا، تبدأ بمثل اعلى له طموح مشتق من طموح مستقبلى ثم يتحول هذا المثل الاعلى الى مثل تكرارى، ثم يتمزق هذا المثل التكرارى كما قلنا و تتحول الامة الى شبح أمة.

فى هذه الفترة الزمنية تمر الامة بمراحل فى الحقيقة، يمكننا تلخيصها فى أربعة مراحل:

المرحلة الاولى هى مرحلة فاعلية هذا المثل بحكم انه قد بدأ مشتقا من طموح مستقبلى و من نظرة مستقبلية فهذا المثل يكون له فى المرحلة الاولى فاعلية و عطاء و تجديد بقدر ما يكون له من ارتباط بالمستقبل.

و لكن طبعا هذه الفاعلية و هذا العطاء و هذا التجديد هو عطاء يسميه القرآن بالعاجل، مكاسب عاجلة، و ليست مكاسب على الخط الطويل. هذه المكاسب مكاسب عاجلة لان عمر هذا المثل قصير، لان عطاء هذا المثل محدود، لان هذا المثل سوف يتحول فى لحظة من اللحظات الى قوة إبادة لكل ما اعطاه من مكاسب و لهذا يسمى هذا بالعاجل.

انظروا الى قوله تعالى مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۷۳

فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً. وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَ سَعى لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً «۱» اللّه سبحانه و تعالى خير محض، عطاء محض، جود كله، فبقدر ما تتبنى الامة مثلا قابلا للتحريك، اللّه سبحانه و تعالى ايضا يعطى، لكنه يعطى بقدر قابلية هذا المثل يعطى شيئا عاجلا لا اكثر.

فى حالة من هذا القبيل تكون السلطة التى تمثل هذا المثل، تكون هذه السلطة ذات مثل اعلى، ذات مثل يعطى و يبدع و تكون قيادة موجهة للامة فى حدود هذا المثل و تكون للامة دور المشاركة فى صنع هذا المثل و فى تحقيق هذا المثل.

هذه المرحلة سوف تؤدى الى مكاسب، و لكنها فى النظر القرآنى العميق الطويل الامد مكاسب عاجلة تعقبها جهنم، جهنم فى الدنيا و جهنم فى الآخرة. هذه المرحلة الاولى مرحلة الابداع و التجديد.

(۱) سورة الإسراء الآية (۱۸- ۲۰).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۷۴

المرحلة الثانية حينما يتجمد هذا المثل الاعلى حينما يستنفذ طاقته و قدرته على العطاء حينئذ يتحول هذا المثل الى تماثل و لا يبقى مثلا- و انما سوف يتحول الى تمثال، و القادة الذين كانوا يعطون و يوجهون على أساسه يتحولون الى سادة و كبراء لا الى قادة، و جمهور الامة يتحول الى مطيعين و منقادين لا الى مشاركين فى الابداع و التطوير و هذه المرحلة هى المرحلة التى عبر عنها القرآن الكريم بقوله: وَ قالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا «۱».

ثم تأتى المرحلة الثالثة؛ مرحلة الامتداد التاريخى لهؤلاء، هذه السلطة تتحول الى طبقة بعد ذلك تتوارث مقاعدها عائليا او طبقيا وراثيا بشكل من اشكال الوراثة، و حينئذ تصبح هذه الطبقة هى الطبقة المترفة المنعمة الخالية من الاغراض الكبيرة، المشغولة بهمومها الصغيرة و هذا ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله وَ كَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ «۲» هؤلاء نتاج آباء، هؤلاء

---

(۱) سورة الاحزاب الآية ۶۷

(۲) سورة الزخرف الآية ۲۳

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۷۵

امتداد تاريخى لآباء لهم تاريخ و هم امتداد تاريخى، و هذا الامتداد التاريخى تحول من مستوى مثل و عطاء الى مستوى طبقة مترفة تتوارث هذا المقعد بشكل من اشكال التوارث هذه هى المرحلة الثالثة.

ثم حينما تتفتت الامة، حينما تتمزق الامة، حينما تفقد ولاءها لذلك المثل التكرارى على ضوء ما قلناه تدخل فى مرحلة رابعة و هى اخطر مراحلها ففى هذه المرحلة يسيطر عليها مجرموها، يسيطر عليها اناس لا يرعون عهدا و لا ذمة و هذا ما عبر عنه القرآن الكريم فى قوله سبحانه و تعالى:

وَ كَذلِكَ جَعَلْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ مُجْرِمِيها لِيَمْكُرُوا فِيها وَ ما يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ «۱». حينئذ يسيطر مجموعة من هؤلاء المجرمين.

يسيطر هتلر و النازية مثلا فى جزء من أوروبا لكى يحطم كل ما فى أوروبا من خير و كل ما فى اوروبا من ابداع، لكى يقضى على كل تبعات ذلك المثل الاعلى الذى رفعه الانسان الاوروبى الحديث و الذى تحول بالتدريج الى مثل تكرارى ثم تفسخ هذا المثل لكن بقيت مكاسبه فى

---

(۱) سورة الانعام الآية ۱۲۳

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۷۶

المجتمع الاوروبى، يأتى شخص كهتلر لكى يمزق كل تلك المكاسب و يقضى على كل تلك المكاسب.

الآن نصل الى النوع الثالث من المثل العليا. النوع الثالث من المثل العليا هو المثل الأعلى الحقيقى و هو اللّه سبحانه و تعالى. فى هذا المثل التناقض الذى واجهناه سوف يحل بأروع صورة كنا نجد تناقضا و حاصل هذا التناقض هو ان الوجود الذهنى للانسان محدود، و المثل يجب ان يكون غير محدود فكيف يمكن توفير المحدود و غير المحدود و كيف يمكن التنسيق بين المحدود و غير المحدود، هذا التنسيق بين المحدود و غير المحدود سوف نجده فى المثل الاعلى الذى هو اللّه سبحانه و تعالى ..

لما ذا؟ لان هذا المثل الاعلى ليس من نتاج الانسان، ليس افرازا ذهنيا للانسان، بل هو مثل أعلى عينى له واقع عينى، هو موجود مطلق فى الخارج، له قدرته المطلقة و له علمه المطلق و له عدله المطلق. هذا الموجود العينى بواقع العين يكون مثلا اعلى لانه مطلق لكن

الانسان حينما يريد ان يستلهم من هذا النور، حينما يريد ان يمسك بحزمة من هذا النور، طبعا هو لا يمسك الا بالمقيد، الا بقدر محدود من هذا النور الا انه يميز بين ما يمسك به و بين مثله

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۷۷

الاعلى، المثل الاعلى خارج حدود ذهنه، لكنه يمسك بحزمة من النور، هذه الحزمة مقيدة لكن المثل الاعلى مطلق.

و من هنا حرص الاسلام على التمييز دائما بين الوجود الذهنى و ما بين اللّه سبحانه و تعالى الذى هو المثل الاعلى.

فرق حتى بين الاسم و المسمى و أكد على انه لا يجوز عبادة الاسم، و انما العبادة تكون للمسمى لان الاسم ليس الا وجودا ذهنيا، الا واجهة ذهنية للّه سبحانه و تعالى، بينما الواجهات الذهنية دائما محدودة، العبادة يجب ان تكون للمسمى لا للاسم، لان المسمى هو المطلق اما الاسم فهو مقيد و محدود، الواجهات الذهنية تبقى كواجهات ذهنية محدودة مرحلية و اما صفة المثل الاعلى تبقى قائمة باللّه سبحانه و تعالى. و هذا ما يأتى ان شاء اللّه توضيحه.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۷۹

الدرس الحادى عشر

يوم الثلاثاء ۲۴/ ج ۲/ ۱۳۹۹ ه اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم و افضل الصلوات على سيد الخلق محمد و على الهداة الميامين من آله الطاهرين قال اللّه سبحانه و تعالى يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ «۱» هذه الآية الكريمة تضع اللّه سبحانه و تعالى هدفا أعلى للانسان و الانسان هنا بمعنى الانسانية ككل، فالانسانية بمجموعها تكدح نحو اللّه سبحانه و تعالى و الكدح كدح الانسانية ككل، نحو اللّه سبحانه و تعالى، يعنى السير المستمر بالمعاناة و بالجهد و بالمجاهدة، لان هذا السير ليس سيرا اعتياديا، بل هو سير ارتقائى، هو تصاعد و تكامل، هو سير تسلق.

فهؤلاء الذين يتسلقون الجبال ليصلوا الى القمم

---

(۱) سورة الانشقاق: الآية (۶).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۸۰

يكدحون نحو هذه القمم، يسيرون سير معاناة و جهد.

كذلك الانسانية حينما تكدح نحو اللّه فانما هى تتسلق الى قمم كمالها و تكاملها و تطورها الى الافضل باستمرار.

و هذا السير الذى يحتوى على المعاناة باستمرار، هذا السير يفترض طريقا لا محالة فان السير نحو هدف يفترض حتما طريقا ممتدا بين السائر و بين ذلك الهدف، و هذا الطريق هو الذى تحدثت عنه الآيات الكريمة فى المواضع المتفرقة تحت اسم سبيل اللّه و اسم الصراط و اسم صراط اللّه، هذه الصيغ القرآنية المتعددة كلها تتحدث عن الطريق الذى يفترضه ذلك السير و كما ان السير يفترض الطريق، كذلك الطريق يفترض السير أيضا و هذه الآية الكريمة يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ «۱» تتحدث عن حقيقة قائمة، عن واقع موضوعى ثابت، فهى ليست بصدد ان تدعو الناس الى أن يسيروا فى طريق اللّه سبحانه و تعالى، ليست بصدد الطلب و التحريك كما هو الحال فى آيات أخرى فى مقامات و سياقات قرآنية أخرى.

الآية الكريمة لا تقول يا أيها الناس تعالوا الى سبيل اللّه،

---

(۱) سورة الانشقاق الآية (۶)

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۸۱

توبوا الى اللّه، بل تقول يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ، لغة الآية لغة التحدث عن واقع ثابت و حقيقة قائمة و هى أن كل سير و كل تقدم للانسان فى مسيرته التاريخية الطويلة الامد، فهو تقدم نحو اللّه سبحانه و تعالى و سير نحو اللّه سبحانه و تعالى حتى تلك الجماعات التى تمسكت بالمثل المنخفضة و بالآلهة المصطنعة و استطاعت ان تحقق لها سيرا ضمن خطوة على هذا الطريق الطويل، حتى هذه الجماعات التى يسميها القرآن بالمشركين حتى هؤلاء هم يسيرون هذه الخطوة نحو اللّه، هذا التقدم بقدر فاعليته و بقدر زخمه هو اقتراب نحو اللّه سبحانه و تعالى، لكن فرق بين تقدم مسئول و تقدم غير مسئول (علىّ ما يأتى شرحه ان شاء اللّه)، حينما تتقدم الانسانية فى هذا المسار واعية على المثل الاعلى وعيا موضوعيا يكون التقدم تقدما مسئولا، يكون عبادة بحسب لغة الفقه، لونا من العبادة يكون لهم امتداد على الخط الطويل و انسجام مع الوضع العريض للكون، و أما حينما يكون التقدم منفصلا عن الوعى على ذلك المثل فهو تقدم على أى حال، سير نحو اللّه على أى حال، و لكنه تقدم غير مسئول على ما يأتى تفصيله.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۸۲

اذن كل تقدم هو تقدم نحو اللّه، حتى اولئك الذين ركضوا وراء سراب كما تحدثت الآية الكريمة فان هؤلاء الذين يركضون وراء السراب الاجتماعى، وراء المثل المنخفضة، هؤلاء حينما يصلوا الى هذا السراب لا يجدون شيئا، و يجدون اللّه سبحانه و تعالى فيوفيهم حسابهم كما تتحدث الآية الكريمة التى قرأناها فيما سبق.

و اللّه سبحانه و تعالى هو نهاية هذا الطريق و لكنه ليس نهاية جغرافية ليس نهاية على نمط النهايات الجغرافية للطريق الممتدة مكانيا. كربلاء مثلا نهاية طريق ممتد بين النجف و كربلاء، كربلاء بمعناها المكانى نهاية جغرافية، و معنى انها نهاية جغرافية انها موجودة على آخر الطريق، ليست موجودة على طول الطريق، لو أن انسانا سار نحو كربلاء و وقف فى نصف الطريق لا يحصل على شىء من كربلاء، لا يحصل على حفنة من تراب كربلاء اطلاقا، لان كربلاء نهاية جغرافية موجودة فى آخر الطريق، و لكن اللّه سبحانه و تعالى ليس نهاية على نمط النهايات الجغرافية، اللّه سبحانه و تعالى هو المطلق، هو المثل الاعلى، أى المطلق الحقيقى العينى، و بحكم كونه هو المطلق، اذن هو موجود

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۸۳

على طول الطريق أيضا، ليس هناك فراغ منه، ليس هناك انحسار عنه، ليس هناك حد له، اللّه سبحانه و تعالى هو نهاية الطريق و لكنه موجود أيضا على طول الطريق، من وصل الى نصف الطريق، من وصل الى سرابه، فتوقف و اكتشف انه سراب، ما ذا يجد؟ ما ذا وجد فى الآية؟ .. وجد اللّه فوفّاه اللّه حسابه لان المطلق موجود على طول الطريق و بقدر زخم الطريق و بقدر التقدم فى الطريق يجد الانسان مثله الاعلى، يلقى اللّه سبحانه و تعالى اينما توقف بحجم سيره، و بحجم تقدمه على هذا الطريق.

و بحكم أن اللّه سبحانه و تعالى هو المطلق اذن الطريق ايضا لا ينتهى، هذا الطريق طريق الانسان نحو اللّه هو اقتراب مستمر بقدر التقدم الحقيقى نحو اللّه، و لكن هذا الاقتراب يبقى اقترابا نسبيا، يبقى مجرد خطوات على الطريق من دون ان يجتاز هذا الطريق، لان المحدود لا يصل الى المطلق، الكائن المتناهى لا يمكن ان يصل الى اللامتناهى، فالفسحة الممتدة بين الانسان و بين المثل الاعلى هنا، فسحة لا متناهية، أى انه ترك له مجال الابداع الى اللانهاية، مجال التطور التكاملى الى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۸۴

اللانهاية، باعتبار أن الطريق الممتد طريق لا نهائى. و هذا المثل الاعلى الحقيقى حينما تتبناه المسيرة الانسانية و توفق بين وعيها البشرى و الواقع الكونى الذى يفترض هذا المثل الاعلى حقيقة قائمة كما افترضته الآية، المسيرة الانسانية حينما توفق بين وعيها على المسيرة و بين الواقع الكونى لهذه المسيرة بوصفها سائرة و متجهة نحو اللّه، سوف يحدث تغيير كمى و كيفى على هذه المسيرة، هذه الحركة سوف يحدث فيها تغيير كمى و كيفى.

أما التغيير الكمى على هذه الحركة فهو باعتبار ما أشرنا اليه من أن الطريق حينما يكون طريقا الى المثل الاعلى الحق يكون طريقا غير

متناه، أى أن مجال التطور و الابداع، و النمو قائم أبدا و دائما، و مفتوح للانسان باستمرار من دون توقف، هذا المثل الاعلى حينما يتبنى سوف تمسح من الطريق كل الآلهة المزورة، كل الاصنام و كل الاقزام المتصنّمة على طريق الانسان التى تقف عقبة بين الانسان و بين وصوله الى اللّه سبحانه و تعالى.

و من هنا كان دين التوحيد صراعا مستمرا مع مختلف اشكال الآلهة و المثل المنخفضة و التكرارية التى حاولت ان

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۸۵

تحدد من كمية الحركة من ان توصل الحركة الى نقطة ثم تقول قف أيها الانسان. هذه الآلهة التى ارادت أن توقف الانسان فى وسط الطريق، و فى نقطة معينة كان دين التوحيد على مر التاريخ هو حامل لواء المعركة ضدها، هذا المثل الاعلى اذن سوف يحدث تغييرا كميا على الحركة لانه يطلقها من عقالها، يطلقها من هذه الحدود المصطنعة لكى تسير باستمرار.

و أما التغيير الكيفى الذى يحدثه المثل الاعلى على هذه المسيرة فهذا التغيير الكيفى هو اعطاء الحل الموضوعى الوحيد للجدل الانسانى، للتناقض الانسانى، اعطاء الشعور بالمسئولية الموضوعية لدى الانسان، الانسان من خلال ايمانه بهذه المثل الاعلى و وعيه على طريقه بحدوده الكونية الواقعية من هذا الوعى ينشأ بصورة موضوعية، شعور معمق لديه بالمسئولية تجاه هذا المثل الاعلى، لاول مرة فى تاريخ المثل البشرية التى حركت البشر على مر التاريخ.

لما ذا؟

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۸۶

لان هذا المثل الاعلى حقيقة و واقع عينى منفصل عن الانسان و بهذا يعطى للمسئولية شرطها المنطقى فان المسئولية الحقيقية لا تقوم الا بين جهتين مسئول، و مسئول لديه. اذا لم يكن هناك جهة أعلى من هذا الكائن المسئول و اذا لم يكن هذا الكائن المسئول مؤمنا بأنه بين يدى جهة أعلى، لا يمكن ان يكون شعوره بالمسئولية شعورا موضوعيا، شعورا حقيقيا.

مثلا تلك المثل المنخفضة، تلك الآلهة، تلك الاقزام.

المتعملقة على مرّ التاريخ، على مرّ المسيرة البشرية هى فى الحقيقة لم تكن كما رأينا و كما حللنا الّا افرازا بشريا، الّا انتاجا انسانيا، يعنى انها جزء من الانسان، جزء من كيان الانسان، و الانسان لا يمكن ان يستشعر بصورة موضوعية حقيقية، المسئولية تجاه ما يفرزه، هو اتجاه ما يصنعه هو إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها «۱» تلك المثل لا تصنع الشعور الموضوعى بالمسئولية، نعم قد تصنع قوانين، قد تصنع عادات، قد تصنع اخلاق، و لكنها كلها غطاء ظاهرى، و كلما وجد هذا الانسان مجالا للتحلل من هذه العادات، و من هذه الاخلاق، و من هذه القوانين

---

(۱) سورة النجم الآية ۲۳

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۸۷

فسوف يتحلل.

بينما المثل الاعلى لدين التوحيد، للانبياء على مرّ التاريخ باعتباره واقعا عينيا منفصلا عن الانسان، باعتباره جهة اعلى من الانسان ليست افرازا بشريا، ليست انتاجا انسانيا، اذن سوف يتوصل للشعور بالمسئولية، شرطه الموضوعى فى المقام، لما ذا كان الانبياء على مر التاريخ أصلب الثوار على الساحة التاريخية؟ انظف الثوار على الساحة التاريخية؟ لما ذا كانوا على الساحة التاريخية فوق كل مساومة، فوق كل مهادنة، فوق كل تململ يمنة او يسرة؟ لما ذا كانوا هكذا؟ لما ذا انهار كثير من الثوار على مر التاريخ و لم يسمع أن نبيا من انبياء التوحيد انهار أو تململ او انحرف يمنة او يسرة عن الرسالة التى بيده و عن الكتاب الذى يحمله من السماء؟

لان المثل الاعلى المنفصل عنه الذى هو فوقه الذى اعطاه نفحة موضوعية من الشعور بالمسئولية، و هذا الشعور بالمسئولية تجسد فى

كل كيانه، فى كل مشاعره و افكاره و عواطفه.

و من هنا كان النبى معصوما على مر التاريخ.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۸۸

اذن هذا المثل الاعلى بحسب الحقيقة يحدث تغييرا كيفيا على المسيرة لانه يعطى الشعور بالمسئولية، و هذا الشعور بالمسئولية ليس أمرا عرضيا، ليس أمرا ثانويا فى مسيرة الانسان، بل هذا شرط أساسى فى امكان انجاح هذه المسيرة و تقديم الحل الموضوعى للتناقض الانسانى، للجدل الانسانى، لان الانسان يعيش تناقضا، الإنسان بحسب تركيبه و خلقته يعيش تناقضا، لانه هو تركيب من حفنة من تراب و نفحة من روح اللّه سبحانه و تعالى كما وصفت ذلك الآيات الكريمة.

الآيات الكريمة قالت بان الانسان خلق من تراب، و قالت بانه نفخ فيه من روحه سبحانه و تعالى.

اذن فهو مجموع نقيضين اجتمعا و التحما فى الانسان، حفنة التراب تجره الى الارض، تجره الى الشهوات الى الميول، تجره الى كل ما ترمز اليه الارض من انحدار و انحطاط و روح اللّه سبحانه و تعالى التى نفخها فيه تجره الى أعلى تتسامى بانسانيته الى حيث صفات اللّه، الى حيث اخلاق اللّه، تخلقوا باخلاق اللّه، الى حيث العلم الذى لا حد له و القدرة التى لا حد لها، الى حيث العدل الذى لا حد له، الى حيث الجود و الرحمة و الانتقام، الى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۸۹

حيث هذه الاخلاق الالهية، هذا الانسان واقع فى تيار هذا التناقض، فى تيار هذا الجدل بحسب محتواه النفسى، بحسب تركيبه الداخلى، هذا الجدل و هذا التناقض الذى احتوته طبيعة الانسان و شرحته قصة آدم على ما يأتى ان شاء اللّه تعالى، هذا الجدل الانسانى له حل واحد فقط، هذا الحل الواحد الذى يمكن ان يوضع لهذا التناقض هو الشعور بالمسئولية، لكن لا الشعور المنبثق عن نفس هذا الجدل، فان الشعور المنبثق عن نفس هذا الجدل لا يحل هذا الجدل، هو ابن الجدل بل هو افراز هذا التناقض و انما الشعور الموضوعى بالمسئولية لا يكلفه الا المثل الاعلى الذى يكون جهة عليا، يحس الانسان من خلالها بانه بين يدى رب قادر سميع بصير محاسب مجاز على الظلم، مجاز على العدل.

اذن هذا الشعور الموضوعى بالمسئولية الذى هو التغيير الكيفى على المسيرة هو فى الحقيقة الحل الوحيد للتناقض و للجدل الذى تستبطنه طبيعة الانسان و تركيب الانسان.

دور دين التوحيد اذن هو عبارة عن تعبيد هذا الطريق الطويل الطويل، تعبيده، ازالة العوائق من خلال تنمية الحركة كميا و كيفيا، محاربة تلك المثل المصطنعة

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۹۰

و المنخفضة و التكرارية التى تريد ان تجمد الحركة من ناحية، أن تعريها من الشعور بالمسئولية من ناحية اخرى، و من هنا كان حرب الانبياء كما اشرنا، كان حرب الانبياء مع الآلهة المصطنعة على مرّ التاريخ.

و لما كان كل مثل من هذه المثل العليا التى تتحول الى تمثال ضمن ظروف تطورها بالشكل الذى شرحناه فيما سبق، حينما تتحول الى تمثال تجد فى مجموعة من الناس، تجد فيهم مدافعين طبيعيين عنها باعتبار ان مجموعة من الناس ترتبط مصالحهم، ترفهم، كيانهم المادى و الدنيوى ببقاء هذا المثال الذى تحول الى تمثال و لهذا يقف دائما هؤلاء الذين يرتبطون مصلحيا بهذا التمثال، يقفون دائما فى وجه الانبياء ليدافعوا عن مصالحهم، عن دنياهم، عن ترفهم.

و من هنا ابرز القرآن الكريم سنة من سنن التاريخ و هى ان الانبياء دائما كانوا يواجهون المترفين من مجتمعاتهم كقطب آخر فى المعارضة مع هذا النبى لان هذا المترف المستفيد من هذا المثال بعد ان تحول الى التمثال هذا المثال تحول الى تمثال فمن هو المستفيد منه؟ المستفيد منه المترفون فى ذلك المجتمع، المنعّمون على حساب

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۹۱

الناس الـذين يجعلون من هذا التمثال مبررا لوجودهم، من هنا يكون من الطبيعى أنّ هؤلاء المترفين و هؤلاء المستفيدين نجدهم دائما فى الخط المعارض للانبياء، وَ كَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ «۱».

وَ ما أَرْسَلْنا فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ «۲» سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِىَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها، وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ كانُوا عَنْها غافِلِينَ «۳». وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ وَ أَتْرَفْناهُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ «۴».

اذن دين التوحيد هو الذى يستأصل مصالح هؤلاء

---

(۱) سورة الزخرف: الآية (۲۳).

(۲) سورة سبأ: الآية (۳۴).

(۳) سورة الاعراف: الآية (۱۴۶).

(۴) سورة المؤمنون: الآية (۳۳).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۹۲

المترفين بالقضاء على آلهتهم و على مثلهم التى تحولت الى تماثيل، يقطع صلة البشرية بهذه المثل العليا المنخفضة و لكنه لا يقطع صلتها بهذه المثل العليا المنخفضة و لكنه لا يقطع صلتها بهذه المثل العليا المنخفضة لكى يطأ برأسها فى التراب، لكى يحولها الى كومة مادية ليس لها اشواق، ليس لها طموحات، ليس لها تطلعات الى اعلى كما هو شأن الثوار الماديين الذين يستلهمون من المادية التأريخية و من الفهم المادى للتاريخ، اولئك ايضا يحاربون هذه الآلهة المصطنعة و يسمون هذه الآلهة المصطنعة بانها أفيون الشعوب و نحن ايضا نحارب هذه الآلهة المصطنعة و لكننا نحن نحارب هذه الآلهة المصطنعة لا لكى نحول الانسان الى حيوان، لا لكى نقطع صلة الانسان بأشواقه العليا، لا لكى نحول مسار الانسان من اعلى الى أسفل، و انما نقطع صلة الانسان بهذه المثل المنخفضة لكى نشده الى المثل الاعلى، لكى نشده الى اللّه سبحانه و تعالى.

و تبنى المسيرة البشرية لهذا المثل الاعلى الحق الذى يحدث هذه التغييرات الكيفية و الكمية على اتجاه المسيرة و حجمها، تبنى المسيرة البشرية لهذا المثل يتوقف على عدة أمور:

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۹۳

أولا- على رؤية واضحة فكريا و ايديولوجيا لهذا المثل الاعلى، و هذه الرؤية الواضحة لهذا المثل الاعلى هو الذى تقدمه عقيدة التوحيد على مرّ التاريخ، عقيدة التوحيد التى تنطوى على الايمان باللّه سبحانه و تعالى، التى توحد بين كل المثل، بين كل الغايات، كل الطموحات، كل التطلعات البشرية، توحد بينها فى هذا المثل الاعلى الذى هو علم كله، قدرة كله، عدل كله، رحمة كله، انتقام من الجبارين. هذا المثل الاعلى الذى تتوحد فيه كل الطموحات و كل الغايات، هذا المثل الاعلى تعطينا عقيدة التوحيد رؤية واضحة له، تعلمنا على ان نتعامل مع صفات اللّه و اخلاق اللّه لا بوصفها حقائق عينية منفصلة عنا كما يتعامل فلاسفة الاغريق، و انما نتعامل مع هذه الصفات و الاخلاق بوصفها رائدا عمليا، بوصفها هدفا لمسيرتنا العملية، بوصفها مؤشرات على الطريق الطويل للانسان نحو اللّه سبحانه و تعالى.

عقيدة التوحيد هى التى توفر هذا الشرط الاول الرؤية الواضحة فكريا و ايديولوجيا للمثل الاعلى.

ثانيا- لا بد من طاقة روحية مستمدة من هذا المثل

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۹۴

الاعلى لكى تكون هذه الطاقة الروحية رصيدا و وقودا مستمرا للارادة البشرية على مرّ التاريخ، هذه الطاقة الروحية، هذا الوقود الذى يستمد من اللّه سبحانه و تعالى يتمثل فى عقيدة يوم القيامة، فى عقيدة الحشر و الامتداد، عقيدة يوم القيامة تعلم الانسان ان هذه الساحة التاريخية الصغيرة التى يلعب عليها الانسان مرتبطة ارتباطا مصيريا بساحات برزخية و بساحات حشرية فى عالم البرزخ و الحشر، و ان مصير الانسان على تلك الساحات العظيمة الهائلة مرتبط بدوره على هذه الساحة التاريخية. هذه العقيدة تعطى تلك الطاقة الروحية، ذلك الوقود الربانى الذى ينعش إرادة الانسان و يحفظ له دائما قدرته على التجديد و الاستمرار.

ثالثا- ان هذا المثل الاعلى الذى تحدثنا عنه يختلف عن المثل العليا الاخرى التكرارية و المنخفضة التى تحدثنا عنها سابقا، على اساس ان هذا المثل منفصل عن الانسان، ليس جزءا من الانسان، ليس من افراز الانسان، بل هو منفصل عن الإنسان، هو واقع عينى قائم هناك، قائم فى كل مكان و ليس جزءا من الانسان، هذا الانفصال يفرض وجود صلة موضوعية بين الانسان و هذا المثل

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۹۵

الاعلى. لا بد من صلة موضوعية بين هذا الإنسان و هذا المثل الاعلى، بينما المثل الاخرى السابقة كانت انسانية، كانت افرازا بشريا لا حاجة الى افتراض صلة موضوعية، نعم هناك طواغيت و فراعنة على مر التاريخ نصبوا من انفسهم صلات موضوعية بين البشرية و بين آلهة الشمس، و آلهة الكواكب و لكنها صلة موضوعية مزيفة لان الإله هناك كان و هما، كان وجودا ذهنيا، كان افرازا انسانيا، اما هنا المثل الاعلى منفصل عن الانسان و لهذا كان لا بد من صلة موضوعية تربط هذا الانسان بذلك المثل الاعلى.

و هذه الصلة الموضوعية تتجسد فى النبى فى دور النبوة، فالنبى هو ذلك الانسان الذى يركب بين الشرط الاول و الشرط الثانى بأمر اللّه سبحانه و تعالى، بين رؤية ايديولوجية واضحة للمثل الاعلى و طاقة روحية مستمدة من الايمان بيوم القيامة، يركب بين هذين العنصرين ثم يجسد بدور النبوة، الصلة بين المثل الاعلى و البشرية ليحمل هذا المركب الى البشرية بشيرا و نذيرا هذا ثالثا.

و رابعا- البشرية بعد ان تدخل مرحلة يسميها القرآن مرحلة الاختلاف على ما يأتى ان شاء اللّه شرحه فى الدروس القادمة سوف لن يكفى مجيء البشير النذير لان

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۹۶

مرحلة الاختلاف تعنى مرحلة انتصاب تلك المثل المنخفضة او التكرارية، تعنى وجود تلك الآلهة المزورة على الطريق، وجود تلك الحواجب و العوائق عن اللّه سبحانه و تعالى، اذن لا بد للبشرية من ان تخوض معركة ضد الآلهة المصطنعة، ضد تلك الطواغيت و المثل المنخفضة التى تنصب من نفسها قيّما على البشرية و حاجز و قاطع طريق بالنسبة للمسيرة التاريخية، لا بد من معركة ضد هذه الآلهة، و لا بد من قيادة تتبنى هذه المعركة و هذه القيادة هى الامامة، هى دور الامامة، الامام هو القائد الذى يتولى هذه المعركة. و دور الامامة يندمج مع دور النبوة فى مرحلة من النبوة يتحدث عنها القرآن و سوف نتحدث عنها ان شاء اللّه تعالى و نقول بانها بدأت فى اكبر الظن مع نوح عليه الصلاة و السلام، و دور الامامة يندمج مع دور النبوة و لكنه يمتد حتى بعد النبى اذا ترك النبى الساحة و بعد لا تزال المعركة قائمة و لا تزال الرسالة بحاجة الى مواصلة هذه المعركة من اجل القضاء على تلك الآلهة حينئذ يمتد دور الامامة بعد انتهاء النبى.

هذا هو الشرط الرابع فى تبنى المسيرة البشرية لهذا المثل الاعلى.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۹۷

على هذا الضوء سوف نكوّن رؤية واضحة لما نسميه باصول الدين الخمسة، سوف تقع اصول الدين الخمسة فى موقعها الطبيعى، فى موقعها الصحيح السليم من مسار الانسان، اصول الدين الخمسة: التوحيد: هو الذى يعطى الشرط الأول هو الذى يعطى الرؤية الواضحة

فكريا و ايديولوجيا، هو الذى يجمع و يعبئ كل الطموحات و كل الغايات فى مثل اعلى واحد و هو اللّه سبحانه و تعالى.

العدل: العدل هو جانب من التوحيد و لكن انما فصل، العدل صفة من صفات اللّه سبحانه و تعالى حال العدل، حال العلم، حال القدرة، لا يوجد ميزة عقائدية فى العدل فى مقابل العلم، فى مقابل القدرة و لكن الميزة هنا ميزة اجتماعية، ميزة القدوة، لان العدل هو الصفة التى تعطى للمسيرة الاجتماعية و تغنى المسيرة الاجتماعية و التى تكون المسيرة الاجتماعية بحاجة اليها اكثر من أى صفة اخرى، أبرز العدل هنا كأصل ثانى من اصول الدين باعتبار المدلول التوجيهى، باعتبار المدلول التربوى لهذه الصفة، قلنا بان صفات اللّه و اخلاق اللّه علّمنا الاسلام على ان لا نتعامل معها كحقائق عينية ميتافيزيقية فوقنا لا صلة لنا بها و انما نتعامل معها كمؤشرات و كمنارات على الطريق، اذن من

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۹۸

هنا كان العدل له مدلوله الاكبر بالنسبة الى توجيه المسيرة البشرية و لاجل ذلك أفرز. و إلّا العدل فى الحقيقة هو داخل فى اطار التوحيد العام، فى اطار المثل الاعلى.

الاصل الثالث النبوة: النبوة هى التى توفر الصلة الموضوعية بين الانسان و ما بين المثل الاعلى، المسيرة البشرية كما قلنا حينما تبنت المثل الاعلى الحق المنفصل عنها الذى هو ليس من افرازها و من انتاجها المنخفض كانت بحاجة الى صلة موضوعية، هذه الصلة الموضوعية يجسدها النبى (ص)، النبى على مر التاريخ، الانبياء صلوات اللّه عليهم هم الذين يجسدون هذه الصلة الموضوعية.

الامامة: الامامة هى فى الحقيقة تلك القيادة التى تندمج مع دور النبوة، النبى امام ايضا، النبى نبى، و النبى امام و لكن الامامة لا تنتهى بانتهاء النبى، اذا كانت المعركة قائمة و اذا ما كانت الرسالة لا تزال بحاجة الى قائد يواصل المعركة، اذن سوف يستمر هذا الجانب من دور النبى من خلال الامامة. فالامامة هو الاصل الرابع من اصول الدين.

و الاصل الخامس هو الايمان بيوم القيامة: هو الذى يوفر

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۱۹۹

الشرط الثانى من الشروط الاربعة التى تقدمت، هو الذى يعطى تلك الطاقة الروحية، ذلك الوقود الربانى الذى يجدد دائما إرادة الانسان و قدرة الانسان، و يوفر الشعور بالمسئولية و الضمانات الموضوعية. اذن اصول الدين فى الحقيقة و بالتعبير التحليلى على ضوء ما ذكرناه هى كلها عناصر تساهم فى تركيب هذا المثل الاعلى و فى اعطاء تلك العلاقة الاجتماعية، بصيغتها القرآنية الرباعية التى تحدثنا عنها قبل ايام، كنا نقول، ما ذا كنا نقول قبل أيام؟

بأن القرآن الكريم طرح العلاقة الاجتماعية ذات اربعة ابعاد لا ذات ثلاثة ابعاد، طرحها بصيغة الاستخلاف و شرحنا فى ما سبق صيغة الاستخلاف، و قلنا بأن الاستخلاف يفترض اربعة ابعاد، يفترض انسانا و انسانا و طبيعة اللّه سبحانه و تعالى و هو المستخلف. هذه الصيغة الرباعية للعلاقة الاجتماعية هى التعبير الآخر عن صيغة تدمج اصول الدين الخمسة فى مركب واحد من اجل ان يسير الانسان و يكدح نحو اللّه سبحانه و تعالى فى طريقه الطويل.

بما ذكرناه توضح دور الانسان فى المسيرة التاريخية، توضح ان الانسان هو مركز الثقل فى المسيرة التاريخية و توضح ان الإنسان هو مركز الثقل لا بجسمه الفيزيائى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۰۰

و انما بمحتواه الداخلى، و هذا المحتوى الداخلى توضح ايضا من خلال ما شرحناه، ان الاساس فى بناء هذا المحتوى الداخلى هو المثل الاعلى الذى يتبناه الإنسان، لأن المثل الاعلى هو الذى تنبثق منه كل الغايات التفصيلية، و الغايات التفصيلية هى المحركات التاريخية للنشاطات على الساحة التاريخية.

اذن بناء المثل الاعلى و تبنى المثل الاعلى هو فى الحقيقة الاساس فى بناء المحتوى الداخلى للانسان و من هنا ظهر دور هذا البعد

الرابع.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۰۱

الدرس الثانى عشر

يوم الاربعاء ۲۵/ ج ۲/ ۱۳۹۹ ه اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم و افضل الصلوات على سيد الخلق محمد و على الميامين من آله الطاهرين تقدم فى تحليل عناصر المجتمع، ان المجتمع يتكون من ثلاثة عناصر، و هى: الانسان و الطبيعة و العلاقة الاجتماعية، و قد تحدثنا عن الإنسان و دوره الاساسى فى الحلقة التاريخية و تحدثنا عن الطبيعة و شأنها على الساحة التاريخية و بقى علينا ان نأخذ العنصر الثالث و هو: العلاقة الاجتماعية لنحدد موقفنا من هذه العلاقة الاجتماعية على ضوء ما انتهينا اليه من مواقف قرآنية تجاه دور الإنسان و الطبيعة على الساحة التاريخية.

العنصر الثالث هو العلاقة الاجتماعية، و قد تقدم ان العلاقة الاجتماعية تتضمن علاقتين مزدوجتين: إحداهما علاقة الانسان مع الطبيعة. و الأخرى علاقة الانسان مع

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۰۲

اخيه الانسان. هذان خطّان من العلاقة الاجتماعية، و هذان الخطان نؤمن بان كل واحد منهما مختلف عن الآخر و مستقل استقلالا نسبيا عن الآخر مع شيء من التفاعل و التأثير المتبادل و المحدود الذى سوف نشرحه بعد ذلك ان شاء اللّه تعالى، من حيث الاساس، هذان الخطان احدهما مختلف عن الآخر، و مستقل استقلالا نسبيا عنه تبعا للاختلاف النوعى فى طبيعة المشكلة التى يواجهها كل واحد من هذين الخطين و نوع الحل الذى ينسجم مع طبيعة تلك المشكلة.

فالخط الاول الذى يمثل علاقات الانسان مع الطبيعة من خلال استثمارها و محاولة تطويعها و انتاج حاجاته الحياتية منها. هذا الخط يواجه مشكلة و هى مشكلة التناقض بين الانسان و الطبيعة، و هذا التناقض بين الإنسان و الطبيعة، يعنى تمرد الطبيعة و تعصيها عن الاستجابة للطلب الإنسانى و للحاجة الإنسانية من خلال التفاعل ما بينهما، هذا التناقض بين الانسان و الطبيعة هو المشكلة الرئيسية على هذا الخط، و هذا التناقض له حل مستمد من قانون موضوعى يمثل سنة من سنن التاريخ الثابتة، و هذا

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۰۳

القانون هو قانون التأثير المتبادل بين الخبرة و الممارسة، ذلك لان الانسان كلما تضاءل جهله بالطبيعة و كلما ازدادت خبرته بلغتها و بقوانينها ازداد سيطرة عليها و تمكّنا من تطويعها و تذليلها لحاجاته و حيث ان كل خبرة هى تتولد فى هذا الحقل عادة من الممارسة، و كل ممارسة تولّد بدورها خبرة، و لهذا كان قانون التأثير المتبادل بين الخبرة و الممارسة قانونا موضوعيا يكفل حل هذا التناقض، يقدم الحل المستمر و المتنامى لهذا التناقض بين الانسان و الطبيعة، اذ يتضاءل جهل الانسان باستمرار و تنمو معرفته باستمرار من خلال ممارسته للطبيعة، يكتسب خبرة جديدة، هذه الخبرة الجديدة تعطيه سيطرة على ميدان جديد من ميادين الطبيعة، فيمارس على الميدان الجديد، و هذه الممارسة بدورها ايضا تتحول الى خبرة، و هكذا تنمو الخبرة الانسانية باستمرار ما لم تقع كارثة كبرى طبيعية او بشرية. و هذا القانون بنموه و بتطبيقاته التاريخية يعطى الحلول التدريجية لهذه المشكلة، فهى مشكلة محلولة تاريخيا و محلولة موضوعيا و لعل فى الآية الكريمة وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ، وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها «۱» لعل فى

---

(۱) سورة إبراهيم الآية ۳۴

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۰۴

الآية الكريمة إشارة الى هذا الحل الموضوعى المستمد من قانون التأثير المتبادل بين الخبرة و الممارسة لان السؤال فى الآية الكريمة وَ

آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ لا يراد منه الدعاء طبعا، السؤال اللفظى الذى هو الدعاء، لأن الآية تتكلم عن الانسانية ككل عمّن يؤمن باللّه و من لا- يؤمن باللّه، من يدعو اللّه و من لا- يدعو اللّه، كما ان الدعاء لا يتضمن حتما تحصيل الشىء المدعو به، نعم كل دعاء له استجابة، لكن ليس لكل دعاء تحقيق لما تعلق به الدعاء، بينما هنا يقول وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ هنا إيتاء، استجابة فعلية بعطاء ما سئل عنه، فأكبر الظن ان هذا السؤال من الانسانية ككل و على مرّ التاريخ و عبر الماضى و الحاضر و المستقبل يتمثل فى السؤال الفعلى و الطلب التكوينى الذى يحقق باستمرار التطبيقات التاريخية لقانون التأثير المتبادل بين الخبرة و الممارسة، هذه هى المشكلة التى يواجهها الخط الاول من العلاقات، و هذا هو الحل الذى يوضع لهذه المشكلة.

و اما الخط الثانى من العلاقات، علاقات الانسان مع اخيه الانسان فى مجال توزيع الثروة او فى سائر الحقول الاجتماعية أو فى أوجه التفاعل الحضارى بين الانسان

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۰۵

و اخيه الانسان، فهذا الخط يواجه مشكلة اخرى، ليست المشكلة هنا هى التناقض بين الانسان و الطبيعة بل هى التناقض الاجتماعى بين الانسان و اخيه الانسان. و هذا التناقض الاجتماعى بين الانسان و اخيه الانسان يتخذ على الساحة الاجتماعية صيغا متعددة و الوانا مختلفة و لكنه يظل فى حقيقته و جوهره، يظل شيئا ثابتا و حقيقة واحدة و روحا عامة و هى التناقض ما بين القوى و الضعيف، بين كائن فى مركز القوة و كائن فى مركز الضعف، هذا الكائن الذى هو فى مركز القوة اذا لم يكن قد حل تناقضه الخاص، جدله الانسانى من الداخل فسوف يفرز لا محالة صيغة من صيغ التناقض الاجتماعى و مهما اختلفت الصيغة فى مضمونها القانونى و فى شكلها التشريعى و فى لونها الحضارى فهى بالآخرة صيغة من صيغ التناقض بين القوى و الضعيف، قد يكون هذا القوى فردا فرعونا، قد يكون عصابة، قد يكون طبقة، قد يكون شعبا، قد يكون امة، كل هذه الوان من التناقض كلها تحتوى روحا واحدة و هى روح الصراع، روح الاستغلال من القوى الذى لم يحل تناقضه الداخلى و جدله الانسانى، الصراع بينه و بين الضعيف و محاولة استغلال هذا الضعيف.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۰۶

هذه اشكال متعددة من التناقض الاجتماعى الذى يواجهه خط العلاقات بين الانسان و اخيه الانسان و هذه الاشكال المتعددة ذات الروح الواحدة كلها تنبع من معين واحد، من تناقض رئيسى واحد، و هو ذلك الجدل الانسانى الذى شرحناه القائم بين حفنة التراب و بين اشواق اللّه سبحانه و تعالى.

ما لم ينتصر أفضل النقيضين فى ذلك الجدل الانسانى فسوف يظل هذا الانسان يفرز التناقض تلو التناقض و الصيغة بعد الصيغة حسب الظروف و الملابسات، حسب الشروط الموضوعية و مستوى الفكر و الثقافة، اذن النظرة الاسلامية من زاوية المشكلة التى يواجهها خط العلاقات بين الانسان و اخيه الانسان، نظرة واسعة، منفتحة، معمقة، لا- تقتصر على لون من التناقض، و لا- تهمل ألوانا أخرى من التناقض، بل هى تستوعب كل أشكال التناقض على مرّ التاريخ و تنفذ الى عمقها و تكشف حقيقتها الواحدة، و روحها المشتركة ثم تربط كل هذه التناقضات، تربطها بالتناقض الاعمق، بالجدل الانسانى.

و من هنا يؤمن الاسلام بأن الرسالة الوحيدة القادرة على

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۰۷

حلّ هذه المشكلة التى يواجهها خط علاقات الانسان مع الانسان، هو تلك الرسالة التى تعمل على مستويين فى وقت واحد، تعمل من أجل تصفية التناقضات الاجتماعية على الساحة لكن فى نفس الوقت و قبل ذلك و بعد ذلك تعمل من أجل تصفية ذلك الجدل فى المحتوى الداخلى للانسان من اجل تجفيف منبع تلك التناقضات الاجتماعية، و يؤمن الاسلام بأن ترك ذلك المعين من الجدل و التناقض على حاله و الاشتغال بتصفية التناقضات على الساحة الاجتماعية بصيغها التشريعية فقط، هذا نصف العملية، النصف المبتور من

العملية، اذ سرعان ما يفرز ذلك المعين صيغا أخرى وفق هذه العملية التى سوف تستأصل بها الصيغ السابقة.

فلا بد للرسالة التى تريد أن تضع الحل الموضوعى للمشكلة ان تعمل على كلا المستويين، أن تؤمن بجهادين: جهاد اكبر سمّاه الاسلام «بالجهاد الاكبر» و هو الجهاد لتصفية ذلك التناقض الرئيسى، لحل ذلك الجدل الداخلى. و جهاد آخر، جهاد فى وجه كل صيغ التناقض الاجتماعى، فى وجه كل الوان استئثار القوى للضعيف من دون ان نحصر أنفسنا فى نطاق صيغة معينة من صيغ هذا

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۰۸

الاستئثار، لان الاستئثار جوهره واحد مهما اختلفت صيغه.

هذه هى النظرة المنفتحة الواقعية التى اثبتت التجربة البشرية باستمرار، انطباقها على واقع الحياة خلافا للنظرة الضيقة التى فسرت بها المادية و الثوار الماديون التى فسروا بها التناقض، فان ماركس على الرغم من ذكائه الفائق الا انه لم يستطع ان يتجاوز حدود النظرة التقليدية للإنسان الاوروبى، كان بحكم كونه فردا أوروبيا، كان رهين هذه النظرة التقليدية. الانسان الاوروبى دائما يرى العالم ينتهى حيث تنتهى الساحة الاوروبية أو الساحة الغربية بتعبير أعم كما يعتقد اليهود بأن الانسانية هى كلها فى اطارهم لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ «۱» أولئك ليسوا بشرا، ليسوا أناسا، أولئك أميون، همج، كذلك الانسان الاوروبى اعتاد أن يضع الدنيا كلها فى اطار ساحته الاوروبية، فى ساحته الغربية، لم يتخلص هذا الرجل من تقاليد هذه النظرة الاوروبية، كما انه لم يتخلص من هيمنة العامل الطبقى الذى لعب دورا فى افكار المادية التاريخية.

---

(۱) سورة آل عمران الآية (۷۵).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۰۹

و من هنا جاء لنا بتفسير محدود ضيق للتناقض الذى تواجهه الانسانية على هذا الخط، اعتقد بأن مرد كل التناقضات على الساحة البشرية الى تناقض واحد، و هو التناقض الطبقى، التناقض بين طبقة تملك كل وسائل الانتاج أو معظم وسائل الانتاج، و طبقة لا تملك شيئا من وسائل الانتاج و انما تعمل من أجل مصالح الطبقة الاولى تستثمر فى تشغيل وسائل الانتاج التى تملكها الطبقة الاولى ثم هذه الثروة المنتجة التى جسدت عرق جبين هذا العامل المستغل هذه الثورة المنتجة تستولى عليها الطبقة الاولى المالكة، و لا يعطى للطبقة الثانية منها الّا الحدّ الادنى، حدّ الكفاف الذى يضمن استمرار حياة هذه الطبقة، لكى تواصل خدمتها و ممارستها ضمن إطار الطبقة الاولى.

هذا هو التناقض الطبقى الذى اتخذه قاعدة و أساسا لكل ألوان التناقض الاخرى، و هذا التناقض يتخذ مدلوله الاجتماعى من خلال صراع مرير بين الطبقة المالكة و ما بين الطبقة العاملة، و هذا الصراع المرير بين هاتين الطبقتين ينمو و يشتد كلما تطورت الآلة، و كلما نمت الآلة الصناعية و تعقدت، و ذلك لان الآلة كلما نمت، و كلما

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۱۰

تطورت أدت الى تخفيض فى مستوى المعيشة، و هذا التخفيض فى مستوى المعيشة يعطى فرصة للطبقة الرأسمالية المالكة يعطى لها فرصة فى ان تخفض أجر العامل لانها لا تريد ان تعطى العامل اكثر مما يديم به حياته و نفسه.

اذن باستمرار تطور الآلة، باستمرار تنخفض كلفة المعيشة و باستمرار يخفّض الرأسمالى أجرة العامل هذا من ناحية. و من ناحية ثانية ان تطور الآلة و تعقدها يقتضى امكانية التعويض عن العدد الكبير من العمال بالعدد القليل من العمال، لان دقة الآلة و عملقة الآلة سوف يعوض عن الجزء الآخر من العمال. و هذا يجعل الطبقة الرأسمالية تطرد الفائض من العمل باستمرار، و هكذا يشتد الصراع بين الطبقتين و يحتدم التناقض حتى ينفجر فى ثورة، هذه الثورة تجسدها الطبقة العاملة تقتضى بها على التناقض الطبقى فى المجتمع و توحد المجتمع فى طبقة واحدة و هذه الطبقة الواحدة تمثل حينئذ كل أفراد المجتمع و فى حالة من هذا القبيل سوف تستأصل كل

ألوان التناقض لان أساس التناقض هو التناقض الطبقى، فاذا أزيل التناقض الطبقى زالت كل التناقضات الاخرى الفرعية و الثانوية.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۱۱

هذا تلخيص سريع جدا لوجهة نظر هؤلاء الثوار تجاه التناقض الذى عالجناه.

الا ان هذه النظرة الضيقة لا تنسجم فى الحقيقة مع الواقع و لا تنطبق على تيار الاحداث فى التاريخ ليس التناقض الطبقى وليد تطور الآلة بل هو وليد الانسان، هو من صنع الانسان الاوروبى، ليست الآلة هى التى صنعت استغلال الرأسمالى للعامل، ليست الآلة هى التى خلقت النظام الرأسمالى، و انما الانسان الاوروبى الذى وقعت هذه الآلة بيده أفرز نظاما رأسماليا يجسد قيمه فى الحياة و تصوراته للحياة.

و ليس التناقض الطبقى هو الشكل الوحيد من اشكال التناقض، هناك صيغ كثيرة للتناقض على الساحة الاجتماعية، و ليس التناقض الطبقى هو التناقض الرئيسى بالنسبة الى تلك الاشكال و انما كل هذه الاشكال من التناقض على الساحة الاجتماعية هى وليد تناقض رئيس و هو جدل الانسان، هو الجدل المخبوء فى داخل محتوى الانسان، ذاك هو التناقض الرئيس الذى يفرز دائما و أبدا صيغا متعددة من التناقض.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۱۲

تعالوا نلاحظ و نقارن بين هذه النظرة الضيقة و بين واقع التجربة البشرية المعاصرة لنرى أى النظرتين أكثر انطاقا على العالم الذى نعيشه، و نرى ما ذا كنا نتوقع؟ ما ذا كنا ننتظر؟ لو كانت هذه النظرة و كان هذا التفسير للتناقض، لو كان صحيحا و واقعيا، ما ذا كنا ننتظر؟ و ما ذا كنا نتوقع؟

كنا ننتظر و نتوقع أن يزداد يوما بعد يوم التناقض الطبقى و الصراع بين الطبقة الرأسمالية و الطبقة العاملة فى المجتمعات الاوروبية الصناعية التى تطورت فيها الآلة تطورا كبيرا، كان من المفروض أن هذه المجتمعات كانكلترا و الولايات الامريكية المتحدة و فرنسا و ألمانيا أن يشتد فيها التناقض الطبقى و الصراع يوما بعد يوم، و يتزلزل النظام الرأسمالى المستغل و يتداعى يوما بعد يوم، كنا نترقب ان يزداد البؤس و الحرمان فى جانب الطبقة العاملة و يزداد الثراء على حساب هؤلاء العاملين فى طبقة الرأسماليين المستغلين من الامريكان و الانجليز و الفرنسيين و غيرهم، كنا نترقب حالة من هذا القبيل، كنا نترقب أن تتضاعف النقمة، أن يشتد ايمان العامل الاوروبى و العامل الامريكى بالثورة و بضرورة الثورة و بأنها هى الطريق الوحيد لتصفية هذا التناقض الطبقى، هذا ما كنا ننتظره لو صحت

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۱۳

هذه الافكار عن تفسير التناقض.

لكن ما ذا وقع خارجا؟ ما وقع خارجا هو عكس ذلك تماما، نرى و بكل أسف أن النظام الرأسمالى فى الدول الرأسمالية المستغلة يزداد ترسخا يوما بعد يوم و يزداد تمحورا و عملقة يوما بعد يوم، لا تبدو عليه بوادر الانهيار السريع، تلك التمنيات الطيبة التى تمناها ثوارنا الماديون لانكلترا و للدول الاوروبية المتقدمة صناعيا، تمنّوا لها الثورة فى أقرب وقت بحكم التطور الآلى و الصناعى فيها، تلك التمنيات الطيبة تحولت الى سراب، بينما تحققت هذه النبوءات بالنسبة الى بلاد لم تعش تطورا آليا بل لم تعش تناقضا طبقيا بالمعنى الماركسى لانها لم تكن قد دخلت الباب العريض الواسع للتطور الصناعى من قبيل روسيا القيصرية و الصين.

من ناحية أخرى هل ازداد العمال بؤسا و فقرا؟ هل ازدادوا استغلالا؟ لا بالعكس العمال ازدادوا رخاء، ازدادوا سعة، اصبحوا مدلّلين من قبل الطبقة الرأسمالية المستغلة، العامل الامريكى يحصل على ما لا يطمع به انسان آخر يشتغل بكدّ يمينه و يقطف ثمار عمله فى المجتمعات الاشتراكية الاخرى، هل ازدادت النقمة لدى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۱۴

الطبقة العاملة؟ العكس هو الصحيح، العمال، الهيئات التى تمثل العمال فى الدول الرأسمالية المستغلة تحولت بالتدريج أكثر هذه الهيئات تحولت الى هيئات ذات طابع شبه ديمقراطى، تحولت الى اشخاص لهم حالة الاسترخاء السياسى، تركوا هموم الثورة، تركوا منطق الثورة، أصبحوا يتصافحون يدا بيد مع تلك الأيدى المستغلة، مع أيدى الطبقة الرأسمالية، أصبحوا يرفعون شعار تحقيق حقوق العمال عن طريق النقابات و عن طريق البرلمانات، و عن طريق الانتخابات، هذه الحالة هى حالة الاسترخاء السياسى، كل هذا وقع فى هذه الفترة القصيرة من الزمن التى نحسها، كيف وقع هذا كله؟

هل كان ماركس سيّئ الظن الى هذه الدرجة بهؤلاء الرأسماليين، بهؤلاء المجرمين، و المستغلين بحيث تنبأ بهذه النبوءات ثم ضاعت هذه النبوءات كلها فلم يتحقق شيء منها؟

هل كان هذا سوء ظن من ماركس لهؤلاء المستغلين؟

هل ان هؤلاء الرأسماليين المستغلين دخل فى نفوسهم الرعب من ماركس و من الماركسية و من الثورات التحررية فى العالم؟

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۱۵

هل دخل فى أنفسهم الرعب فحاولوا ان يتنازلوا عن جزء من مكاسبهم خوفا من أن يثور العامل عليهم؟

هل هذا صحيح؟

هل ان المليونير الامريكى يخالج ذهنه فعلا أى شبح من خوف من هذه الناحية؟ اشد الناس تفاؤلا بمصائر الثورة فى العالم لا يمكنه ان يفكر فى ان ثورة حقيقة على الظلم فى امريكا يمكن ان تحدث قبل مائة سنة من هذا التاريخ.

فكيف يمكن ان نفترض ان المليونير الامريكى أصبح أمامه شبح الخوف و الرعب، و على اساس هذا الشبح تنازل عن جزء من مكاسبه؟

هل انه دخلت الى قلوبهم التقوى فجأة استنارت قلوبهم بنور الاسلام الذى أنار قلوب المسلمين الأوائل الذين كانوا لا يعرفون حدا للمشاركة و المواساة و الذين كانوا يشاطرون اخوانهم غنائمهم و سرّاءهم و ضرّاءهم؟

هل تحول هؤلاء بين عشية و ضحاها الى مسلمين، الى قلوب مسلمة؟ لا .. لم يتحقق شيء من ذلك، لا كارل ماركس كان سيّئ الظن بهؤلاء، كان ظنه منطبقا على هؤلاء انطباقا تاما. و لا أن هؤلاء أرعبهم شبح العامل

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۱۶

فتنازلوا من أجل إسكاته و لا- ان قلوبهم خفقت بالتقوى، لم تعرف التقوى و لن تعرف التقوى لانها انغمست فى لذّات المال و فى الشهوات، لم يتحقق شيء من ذلك، اذن ما ذا وقع و كيف نفسر هذا الذى وقع؟ هذا الذى وقع فى الحقيقة كان نتيجة تناقض آخر عاش مع التناقض الطبقى منذ البداية، لكن ماركس و الثوار الذين ساروا على هذا الطريق، لم يستطيعوا أن يكتشفوا ذلك التناقض، و لهذا حصروا انفسهم فى التناقض الطبقى، فى التناقض بين المليونير الامريكى و العامل الامريكى، بين الغنى الانجليزى و العامل الإنجليزى، و لم يدخلوا فى الحساب التناقض الآخر الاكبر الذى أفرزه جدل الانسان الاوروبى، افرزه تناقض الانسان الاوروبى فغطى على هذا التناقض الطبقى، بل جنّده، بل أوقفه الى فترة طويلة من الزمن. ما هو ذلك التناقض؟ نحن بنظرتنا المنفتحة يمكننا أن نبصر ذلك التناقض، أن نضع إصبعنا على ذلك التناقض لاننا لم نحصر انفسنا فى اطار التناقض الطبقى، بل قلنا إن جدل الانسان دائما يفرز أى شكل من أشكال التناقض الاجتماعى، ذلك التناقض الآخر وجد فيه الرأسمالى المستغل الاوروبى و الامريكى، وجد فيه أن من طبيعة هذا

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۱۷

التناقض ان يتحالف مع العامل، مع من يستغله لكى يشكل هو و العامل قطبا فى هذا التناقض، لم يعد التناقض تناقضا بين الغنى الاوروبى و العامل الاوروبى بل ان هذين الوجودين الطبقيين تحالفا معا و كوّنا قطبا فى تناقض اكبر بدأ تاريخيا منذ بدأ ذلك التناقض

الذى تحدث عنه ماركس.

لكن ما هو القطب الآخر فى هذا التناقض؟ القطب الآخر فى هذا التناقض هو أنا و أنت هو الشعوب الفقيرة فى العالم هو شعوب ما يسمى ب «العالم الثالث»، هم شعوب آسيا و إفريقيا و امريكا اللاتينية، هذه الشعوب هى التى تمثل القطب الثانى فى هذا التناقض.

ان الانسان الاوروبى بكلا- وجوديه الطبقيين تخالف و تمحور من أجل أن يمارس صراعه و استغلاله لهذه الشعوب الفقيرة، و قد انعكس هذا التناقض الاكبر، انعكس اجتماعيا من خلال صيغ الاستعمار المختلفة التى زخرت بها الساحة التاريخية منذ خرج الانسان الاوروبى و الامريكى من دياره ليفتش عن كنوز الارض فى مختلف أرجاء العالم، و لينهب الاموال بلا حساب من مختلف البلاد و الشعوب الفقيرة، هذا التناقض غطى على التناقض الطبقى، بل جمد التناقض الطبقى لان جدل الانسان من

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۱۸

وراء هذا التناقض كان أقوى من جدل الانسان من وراء ذلك التناقض، و الثراء الهائل الذى تكدس فى أيدى الطبقة الرأسمالية فى الدول الرأسمالية لم يكن كله، بل و لا معظمه نتاج عرق جبين العامل الاوروبى و الامريكى، و انما كان نتاج غنائم حرب، كان نتاج غنائم غارات، غارات على هذه البلاد الفقيرة، على بلاد أخرى استطاع الانسان الابيض ان يغزوها و ان ينهبها، هذا النعيم الذى تغرق فيه تلك الدول ليس من عرق جبين العامل الاوروبى، ليس من نتاج التناقض الطبقى بين الرأسمالى و العامل و انما هذا النعيم هو من نفط آسيا و امريكا اللاتينية، هو من ألماس تنزانيا، هو من الحديد و الرصاص و النحاس و اليورانيوم فى مختلف بلاد إفريقيا، هو من قطن مصر، هو من تنباك لبنان، هو من خمر الجزائر، نعم من خمر الجزائر، لان الكافر المستعمر الذى استعمر الجزائر حول أرضها كلها الى بستان عنب لكى يقطف هذا العنب و يحوله الى خمر ليسكر به العمال، و ليشعر اولئك العمال بالنشوة و الخيلاء، لانهم يشربون خمر الجزائر، يقطفون عنب الجزائر فيحولونه الى خمر! نعم ذلك النعيم، كله من هذه المصادر، من هذه الينابيع، سكروا على خمر الجزائر و لم

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۱۹

يسكروا على عرق جبين العامل الفرنسى أو الاوروبى أو الامريكى.

اذن التناقض الذى جمّد ذلك التناقض و الذى أوقف ذلك التناقض هو هذا التناقض الاكبر التناقض بين المحور الرأسمالى ككل بكلتا طبقتيه، و ما بين الشعوب الفقيرة فى العالم.

من خلال هذا التناقض وجد الرأسمالى الاوروبى و الامريكى أن من مصلحته أن يقاسم العامل شيئا من هذه الغنائم التى نهبها منى و منك التى نهبها من فقراء الارض و المستضعفين فى الارض، و ان من مصلحته أن يعطى نعمة منها، ان يسكر هو و يسكر العمال ايضا بخمر الجزائر، ان يتزين بماسّ تنزانيا و يتزين العامل أو زوجته بماسة من ماسات تنزانيا.

و لهذا نرى أن العامل بدأت حياته تختلف عن نبوءات ماركس، ليس ذلك لاجل كرم طبيعى فى الرأسمالى الاوروبى و الامريكى، و ليس لتقوى، و انما هى غنيمة كبيرة كان من المفروض أن يعطى جزءا منها لهذا العامل و الجزء وحده يكفى لاجل تحقيق هذا الرفاه بالنسبة الى هذا العامل الاوروبى و الامريكى.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۲۰

اذن الحقيقة التى يثبتها التاريخ دائما هو ان التناقض لا يمكن حصره فى صيغة واحدة، التناقض له صيغ متعددة و ذلك لان كل هذه الصيغ تنبع من منبع واحد و هو التناقض الرئيسى، الجدل الانسانى، و الجدل الانسانى لا تعوزه صيغة، اذا حلت صيغة وضع صيغة أخرى مكانها ليس من الصحيح ان نطوق كل التناقضات فى التناقض الطبقى، فى التناقض بين من يملك و من لا يملك، فاذا حللنا هذا التناقض قلنا بأن التناقضات كلها قد حلت، التناقض لا يمكن حصره فى هذه الصيغة، التناقض هو استغلال القوى للضعيف.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۲۳

الدرس الثالث عشر

الثلاثاء ۴/ رجب/ ۱۳۹۹ ه اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم و افضل الصلوات على سيد الخلق محمد و على آله الميامين قلنا إن خط علاقات الانسان مع الطبيعة مختلف مشكلة و قانونا عن خط علاقات الانسان مع أخيه الانسان، و ذكرنا ان هذين الخطين كل واحد منهما مستقل استقلالا نسبيا عن الخط الآخر، لكن هذا الاستقلال النسبى لا ينفى التفاعل و التأثير المتبادل الى حد ما، بين هذين الخطين، فلكل منهما لون من التأثير الطردى أو العكسى على الخط الآخر، و هذا التأثير المتبادل بين الخطين يمكن ابرازه ضمن علاقتين قرآنيتين بين هذين الخطين، العلاقة الاولى تبرز مدى تأثير خط علاقات الانسان مع الطبيعة على خط علاقات الانسان مع أخيه الانسان.

و العلاقة القرآنية الثانية تبرز من الجانب الآخر مدى تأثير علاقات الانسان مع أخيه الانسان على علاقات الانسان مع

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۲۴

الطبيعة. أما العلاقة الاولى التى تبرز تأثير علاقات الانسان مع الطبيعة على الخط الآخر فمؤدى هذه العلاقة هو أنه كما نمت قدرة الانسان على الطبيعة، و اتسعت سيطرته عليها، و ازداد اغتناء بكنوزها، و وسائل انتاجها، تحققت بذلك امكانية اكبر فاكبر للاستغلال على خط علاقات الانسان مع أخيه الانسان كَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى «۱» هذه الآية الكريمة تشير الى هذه العلاقة الى ان الانسانية بقدر ما تتمكن و تستقطب الطبيعة و تتوصل الى وسائل انتاج أقوى و أدوات توليد أوسع، تكون انعكاسات ذلك على حقل علاقات الانسان مع أخيه الانسان، انعكاساته على شكل امكانيات و اغراءات و فتح الشهية للاقوياء لكى يستثمروا أداة الانتاج فى سبيل استغلال الضعفاء.

تصوروا مجتمعا يعيش على الصيد باليد و الحجارة و الهراوة، مثل هذا المجتمع لا يتمكن من أن يمارس بذور الاقوياء، بذور الوحوش فيه لا يتمكنون على الاغلب من أن يمارسوا أدوارا خطيرة من الاستغلال الاجتماعى، لان مستوى الانتاج محدود و القدرة محدودة و كل انسان لا

---

(۱) سورة العلق الآية (۶)

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۲۵

يكسب عادة بعرق جبينه الا- قوت يومه، فلا- توجد امكانية الاستغلال بشكله الاجتماعى الواسع و ان كان توجد ألوان اخرى من الاستغلال الفردى، و لكن لا-حظوا من الجانب الآخر مجتمعا متطورا استطاع الانسان فيه أن يصنع الآلة البخارية و الآلة الكهربائية، استطاع فيه أن يخضع الطبيعة لارادته فى مثل هذا المجتمع سوف تكون الآلة البخارية و الآلة الكهربائية المعقدة المتطورة الصنع تكون أداة امكانية على ساحة علاقات الانسان مع أخيه الانسان تشكل بحسب مصطلح الفلاسفة ما بالقوة للاستغلال و يبقى ان يخرج ما بالقوة الى ما بالفعل و ذلك على عهدة الانسان و دوره التاريخى على الساحة الاجتماعية، فالانسان هو الذى يصنع الاستغلال، هو الذى يفرز النظام الرأسمالى المستغل حينما يجد الآلة البخارية و الكهربائية، و لكن الآلة البخارية و الكهربائية هى التى تعطيه امكانية هذا الاستغلال، هى التى تهيئ له فرصة تفتح شهيته، توقظ مشاعره، تحرك جدله الداخلى و تناقضه الداخلى من اجل أن يبرز صيغة تتناسب مع ما يوجد على الساحة من قوى الانتاج و وسائل التوريد.

و هذا هو الفرق بيننا و بين المادية التاريخية، المادية

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۲۶

التاريخية اعتقدت بأن الآلة هى التى تصنع الاستغلال، هى التى تصنع النظام المتناسب لها، و لكننا نحن لا نرى ان دور الآلة هو دور

الصانع، و انما دور الآلة هو دور الامكانية، دور توفير الفرصة و القابلية، و أما الصانع الذى يتصرف ايجابا و سلبا، أمانة و خيانة، صمودا و انهيارا، انما هو الانسان وفقا لمحتواه الداخلى، لمثله الاعلى، لمدى التحامه مع هذا المثل الاعلى، هذه هى العلاقة الاولى.

و أما العلاقة القرآنية الثانية التى تمثل و تجسد تأثير علاقات الانسان مع الطبيعة، فمؤدى هذه العلاقة القرآنية هو أنه كلما جسدت علاقات الانسان مع أخيه الانسان العدالة و كلما استطاعت ان تستوعب قيم هذه العدالة و ان تبتعد عن أى لون من ألوان الظلم و الاستغلال من الانسان لاخيه الانسان، كلما وقع ذلك، ازدهرت علاقات الانسان مع الطبيعة و تفتحت الطبيعة عن كنوزها، و أعطت المخبوء من ثرواتها و نزلت البركات من السماء، و تفجرت الارض بالنعمة و الرخاء.

هذه العلاقة القرآنية هى العلاقة التى شرحها القرآن الكريم فى نصوص عديدة قال سبحانه و تعالى وَ أَنْ لَوِ

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۲۷

اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً «۱» وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ «۲»، وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ، وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ «۳»، هذه العلاقة مؤداها ان علاقات الانسان مع الطبيعة تتناسب عكسيا مع ازدهار العدالة فى علاقات الانسان مع اخيه الانسان، فكلما ازدهرت العدالة فى علاقات الانسان مع اخيه الانسان اكثر فأكثر ازدهرت علاقات الانسان مع الطبيعة، و كلما انحسرت العدالة عن الخط الاول انحسر الازدهار عن الخط الثانى، أى ان مجتمع العدل هو الذى يضع الازدهار فى علاقات الانسان مع الطبيعة، و مجتمع الظلم هو الذى يؤدى الى انحسار تلك العلاقات، علاقات الانسان مع الطبيعة، و هذه العلاقة ليست ذات محتوى غيبى فقط، نعم نحن نؤمن أيضا، بمحتواها الغيبى و لكن اضافة الى محتواها الغيبى الربانى هى تشكل سنة من سنن

---

(۱) سورة الجن الآية (۱۶)

(۲) سورة المائدة الآية (۶۶)

(۳) سورة الاعراف الآية (۹۶)

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۲۸

التاريخ بحسب مفهوم القرآن الكريم و ذلك لان مجتمع الظلم، مجتمع الفراعنة على مرّ التاريخ مجتمع ممزق، مشتت، الفرعونية على مرّ التاريخ حينما تتحكم فى علاقات الانسان مع أخيه الانسان تستهدف تمزيق طاقات المجتمع، و تشتيت فئاته، و بعثرة امكانياته، و من الواضح أنه تشتيت و بعثرة و تفتيت و تجزئة من هذا القبيل لا يمكن لافراد المجتمع ان يحشدوا قواهم الحقيقية و السيطرة على الطبيعة.

و هذا هو الفرق بين المثل العليا المنخفضة الفرعونية و بين المثل الاعلى الحق مثل التوحيد سبحانه و تعالى، فان المثل الاعلى يوحد الجامعة البشرية و يلغى كل الفوارق و الحدود باعتبار شمولية هذا المثل الاعلى باعتبار شموليته فهو يستوعب كل الحدود و كل الفوارق، يهضم كل الاختلافات، يصهر البشرية كلها فى وحدة متكافئة، لا يوجد ما يميز بعضها عن بعض، لا من دم و لا من جنس و لا من قومية و لا من حدود جغرافية أو طبقية.

المثل الاعلى بشموليته يوحّد البشرية و لكن المثل العليا المنخفضة تجزئ البشرية و تشتت البشرية انظروا الى المثل الاعلى كيف يقول إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۲۹

رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ «۱»، وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ «۲»، هذا هو منطق شمولية المثل الاعلى التى لا تعترف بحد و بحاجز فى داخل هذه الاسرة البشرية انظروا، استمعوا الى المثل المنخفض، الى مجتمع الظلم و آلهة مجتمع الظلم كيف يقولون، أو

كيف يتحدث عنهم القرآن الكريم إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً «۳»، فرعون المثل الاعلى المنخفض، الفرعونية على مرّ التاريخ التى تبنى العلاقات بين الانسان و أخيه الانسان على أساس الظلم و الاستغلال، الفرعونية تجزئ المجتمع، تبعثر امكانيات المجتمع، و طاقات المجتمع و من هنا تهدر ما فى الانسان من قدرة على الابداع و النمو الطبيعى على ساحة علاقات الانسان مع الطبيعة، و عملية التجزئة الفرعونية للمجتمع تقسم المجتمع الى فصائل و جماعات: الجماعة الاولى ظالمون مستضعفون، هذه الجماعة الاولى فى التقسيم الفرعونى هم الظالمون المستضعفون، فى نفس الوقت الظالمون الثانويون أو

---

(۱) سورة الأنبياء الآية (۹۲)

(۲) سورة المؤمنون الآية (۵۲)

(۳) سورة القصص الآية (۴)

بحسب تعبير أئمتنا عليهم الصلاة و السلام «اعوان الظلمة» هؤلاء الظالمون المستضعفون يشكلون حماية لفرعون و للفرعونية و سندا فى المجتمع لبقاء الفرعونية و استمرار وجودها و اطارها. قال اللّه سبحانه و تعالى وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ «۱». هنا القرآن يتحدث عن الظالمين يقول إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ لكن الظالمين صنفهم الى قسمين:

الى من استضعف منهم و من استكبر منهم. اذن فالظالمون و فيهم مستكبرون و هم الذين يمثلون الفرعونية فى المجتمع و فيهم مستضعفون.

فالطائفة الأولى اذن فى التجزئة الفرعونية لمجتمع الظلم هم الظالمون المستضعفون هؤلاء الذين يحشرون يوم القيامة فى زمرة الظالمين ثم يقولون للمستكبرين من الظالمين لو لا انتم لكنا مؤمنين، هذه هى الطائفة الاولى التى تشكل الحماية و السند للفرعونية الطائفة الثانية فى عملية التمزقة الفرعونية لمجتمع

---

(۱) سورة سبأ الآية (۳۱).

الظلم ظالمون يشكلون حاشية و متملقون، اولئك الذين قد لا يمارسون ظلما بأيديهم بالفعل و لكنهم دائما و ابدا على مستوى نزوات فرعون و شهوات فرعون و رغبات فرعون يسبقونه بالقول من أجل ان يصححوا مسلكه و مسيرته. قال اللّه سبحانه و تعالى وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَ تَذَرُ مُوسى وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ «۱»، شكلوا دور الاثارة لفرعون، هؤلاء كانوا يعرفون انهم بهذا الكلام يضربون على الوتر الحساس فى قلب فرعون، و ان فرعون كان بحاجة الى كلام من هذا القبيل، فتسابقوا الى هذا الكلام لكى يجعلوا فرعون يعبر عما فى نفسه و يتخذ الموقف المنسجم مع مشاعره و عواطفه و فرعونيته.

الطائفة الثالثة فى عملية التجزئة الفرعونية لمجتمع الظلم أولئك الذين عبر عنهم الامام على عليه الصلاة و السلام «بالهمج الرعاع» جماعة هم مجرد آلات مستسلمة للظلم، لا تحس بالظلم، لا تدرك انها مظلومة و لا تدرك ان فى المجتمع ظلما، هى آلات تتحرك تحركا آليا، تحركا

---

(۱) سورة الأعراف الآية (۱۲۷).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۳۲

يشبه التحرك الميكانيكى للآلة، تحرك التبعية و الطاعة دون تدبر، دون وعى، سلب فرعون منها تدبرها، عقلها، وعيها، ربط يدها به لا عقلها به، و لهذا فهى تحرك يدها تحريكا آليا و تستسلم للاوامر، للاوامر الفرعونية دون أن تناقشها حتى دون ان تتدبرها، حتى بينها و بين نفسها لا بينها و بين الآخرين، هذه الفئة طبعا تفقد كل قدرة على الابداع البشرى فى مجال التعامل مع الطبيعة، تفقد كل قابليات النمو لانها تحولت الى آلات، اذا وجد أن هناك ابداع فى هذه الفئة انما هو ابداع من يحرك هذه الآلات، ابداع تلك الفرعونية التى تحرك هذه الآلات، و أما هذه الفئة فلم تعد أناسا و بشرا يفكرون و يتدبرون لكى يستطيعوا أن يحققوا لونا من الابداع على هذه الساحة. قال اللّه سبحانه و تعالى وَ قالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا «۱» لا يوجد فى كلام هؤلاء ما يشعر بأنهم كانوا يحسون بالظلم أو كانوا يحسون بأنهم مظلومون و انما هو مجرد طاعة، مجرد تبعية، هؤلاء هم القسم الثالث فى تقسيم مولانا أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة و السلام

---

(۱) سورة الاحزاب الآية (۶۷)

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۳۳

حينما

قال «الناس ثلاثة: عالم ربانى و متعلم على سبيل نجاة و همج رعاع ينعقون مع كل ناعق»

و هذا القسم الثالث يشكل مشكلة بالنسبة الى أى مجتمع صالح و بقدر ما يمكن للمجتمع الصالح أن يستأصل هذا القسم الثالث بتحويله الى القسم الثانى، بتحويله الى متعلم على سبيل النجاة على حد تعبير الامام، الى تابع باحسان على حد تعبير القرآن، الى مقلد بوعى و تبصر على حد تعبير الفقه، بقدر ما يمكن تحويل هذا القسم الثالث الى القسم الثانى يمكن للمجتمع الصالح أن يستمر و أن يمتد و لهذا كان من ضرورات المجتمع الصالح فى نظر الامام عليه الصلاة و السلام هو شجب هذا القسم الثالث، هؤلاء همج، رعاع ينعقون مع كل ناعق ليس لهم عقل مستقل، و إرادة مستقلة. كان الامام (ع) يرى ان هذا القسم الثالث يجب تصفيته من المجتمع الصالح، ذلك لا- بالقضاء عليه فرديا، بل بتحويله الى القسم الثانى ضمن أحد الصيغ الثلاثة التى ذكرناها، لكى يستطيع المجتمع الصالح أن يواصل ابداعه، و لكى يستطيع كل أفراد المجتمع الصالح، أن يشكلوا مشاركة حقيقية فى مسيرة الابداع. و خلافا لذلك الفرعونية، الفرعونية تحاول أن توسع من هذا القسم

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۳۴

الثالث، هؤلاء الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق تحاول الفرعونية ان توسع منهم و كلما توسعت هذه الفئة أكثر فأكثر قدمت المجتمع نحو الدمار خطوة بعد خطوة لان هذه الفئة لا تستطيع بوجه من الوجوه ان تدافع عن المجتمع اذا حلت كارثة فى الداخل أو طرأت كارثة من الخارج، فكلما توسعت هذه الفئة، هذا القسم الثالث، هؤلاء الذين ينعقون مع كل ناعق، كلما توسعوا فى المجتمع ازداد خطر فناء المجتمع و بهذا تموت المجتمعات موتا طبيعيا.

مفهوم الموت لدى القرآن للمجتمعات و للاقوام و للامم الموت الطبيعى للمجتمع لا الموت المخروم. المجتمع له موتان: موت طبيعى و موت مخروم. الموت الطبيعى للمجتمع يكون عن طريق توسع هذه الفئة الثالثة و ازديادها نوعيا و عدديا فى المجتمع الى أن تحل الكارثة فينهار المجتمع. هذه الطائفة الثالثة فى عملية التجزئة الفرعونية.

أما الطائفة الرابعة: هم اولئك الذين يستنكرون الظلم فى أنفسهم، اولئك الذين لم يفقدوا لبهم أمام فرعون و الفرعونية فهم يستنكرون الظلم لكنهم يهادنونه و يسكتون عنه فيعيشون حالة التوتر و القلق فى أنفسهم و هذه الحالة،

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۳۵

حالـة التوتر و القلق أبعـد ما تكون عن حالـة تسـمح للانسان بالابـداع و التجديد و النمو على ساحة علاقات الانسان مع الطبيعة. هؤلاء يسـميهم القرآن الكريم ظـالِمِى أَنْفُسِـهِمْ، قـال اللّه سـبحانه و تعالى إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَـةُ ظالِمِى أَنْفُسِـهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْـعَفِينَ فِى الْأَرْضِ قالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِـعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها «۱» هؤلاء لم يظلموا الآخرين، ليسوا من الظالمين المستضـفين كالطائفـة الاولى، و ليسوا من الحاشـية المتملقين، و ليسوا أيضـا من الهمـج الرعاع الـذين فقـدوا لبهم بل بالعكس هم يشـعرون بأنهم مستضـعفون. قالُوا كُنَّا مُسْتَضْـعَفِينَ فِى الْأَرْضِ هؤلاء لم يفقـدوا لبهم، يـدركون واقعهم و لكنهم كانوا عمليا مهادنين و لهـذا عبر عنهم القرآن بأنهم ظلموا أنفسهم هذه الطائفة هل يترقب منها أن تساعد بابداع حقيقى فى مجال علاقات الانسان مع الطبيعة؟ طبعا كلا.

الطائفـة الخامسـة: فى عمليـة التجزئـة الفرعونية للمجتمع هى: الطائفة التى تتهرب من مسـرح الحياة، تبتعد عن المسـرح و تتهرب منه و تترهب. و هذه الرهبانية موجودة فى

---

(۱) سورة النساء الآية ۹۷.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۳۶

كل مجتمعات الظلم على مرّ التاريخ و هى تتخذ صيغتين:

الاولى صيغة جادة، رهبانية جادة تريد ان تفر بنفسها لكى لا تتلوث بأوحال المجتمع، هذه الرهبانية الجادة التى عبر عنها القرآن الكريم بقوله وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها «۱» هذه الرهبانية يشجبها الاسلام لانها موقف سلبى تجاه مسئولية خلافة الانسان على الارض. و هناك صيغة مفتعلـة للرهبانيـة، يترهب و يلبس مسوح الرهبان و لكنه ليس راهبا فى اعماق نفسه، و انما يريـد بذلك ان يخدر الناس و يشـغلهم عن فرعون و ظلم فرعون و يسطو عليهم نفسيا و روحيا.

و هذا هو الذى عبر عنه القرآن الكريم بقوله إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبارِ وَ الرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ «۲».

الجماعـة السادسـة و الاخيرة فى عمليـة التجزئـة الفرعونيـة للمجتمع هم: المستضـعفون. الفرعونيـة حينما جزأت المجتمع الى طوائف، فرعون حينما اتخذ من قومه شيعا

---

(۱) سورة الحديد الآية (۲۷).

(۲) سورة التوبة الآية ۳۴.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۳۷

استضـعف طائفة معينة منهم خصها بالاستضعاف و الاذلال و هدر الكرامة لانها كانت هى الطائفة التى يتوسم ان تشكل اطارا للتحرك ضده و لهذا استضعفها بالذات. وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِى ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ «۱» هـذه هى الطائفة السادسة و قد علمنا القرآن الكريم ضـمن سـنة من سـنن التاريخ ايضا ان موقع اى طائفة فى التركيب الفرعونى لمجتمع الظلم يتناسب عكسـا مع موقعه بعـد انحسار الظلم، و هـذا معنى قوله سـبحانه و تعالى وَ نُرِيـدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْـعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ «۲». تلك الطائفـة السادسـة التى كانت هى منحـدر التركيب يريد اللّه سبحانه و تعالى ان يجعلهم أئمة و يجعلهم الوارثين و هذه علاقة اخرى و سنة تاريخية اخرى يأتى الحديث عنها ان شاء اللّه تعالى.

اذن فإلى هنا استخلصنا هذه الحقيقة و هى: ان المجتمع يتناسب مدى الظلم فيه تناسبا عكسيا مع ازدهار

---

(۱) سورة البقرة الآية ۴۹.

(۲) سورة القصص الآية (۵).

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعی و التفسير التجزيئی فی القرآن الكريم، ص: ۲۳۸

علاقات الانسان مع الطبيعة، و يتناسب مدى العدل فيه تناسبا طرديا مع ازدهار علاقات الانسان مع الطبيعة.

مجتمع الفرعونية المجزأ المشتت مهدور القابليات و الطاقات و الامكانيات و من هنا تحبس السماء قطرها، و تمنع الأرض بركاتها. و اما مجتمع العدل فهو على العكس تماما هو مجتمع تتوحد فيه كل القابليات و تتساوى فيه كل الفرص و الامكانيات هذا المجتمع الذى تحدثنا الروايات عنه، تحدثنا عنه من خلال ظهور الامام المهدى عليه الصلاة و السلام، تحدثنا عما تحتفل به الارض و السماء فی ظل الامام المهدى (ع) من بركات و خيرات و ليس ذلك الا لان العدالة دائما و أبدا تتناسب طردا مع ازدهار علاقات الانسان مع الطبيعة، هذه العلاقة الثانية بين الخطين.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعی و التفسير التجزيئی فی القرآن الكريم، ص: ۲۳۹

الدرس الرابع عشر

يوم الاربعاء ۵/ رجب/ ۱۳۹۹ ه اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم و أفضل الصلوات على خير خلقه محمد و على آله الميامين الطاهرين خرجنا مما سبق بنظرية تحليلية قرآنية كاملة لعناصر المجتمع و لا دوار هذه العناصر و للعلاقة القائمة بين الخطين المزدوجين فی العلاقة الاجتماعية، خط علاقات الانسان مع اخيه الانسان، و خط علاقات الانسان مع الطبيعة، و انتهينا على ضوء هذه النظرية القرآنية الشاملة الى ان هذين الخطين احدهما مستقل عن الآخر استقلالا نسبيا و لكن كل واحد منهما له نحو تأثير فی الآخر على الرغم من ذلك الاستقلال النسبی و هذه النظرية القرآنية فی تحليل عناصر المجتمع و فهم المجتمع فهما موضوعيا تشكل اساسا للاتجاه العام فی التشريع الاسلامی، فان التشريع الاسلامی فی اتجاهاته العامة و خطوطه يتأثر و ينبثق و يتفاعل مع وجهة النظر القرآنية و الاسلامية الى المجتمع و عناصره و ادوار هذه العناصر و العلاقات المتبادلة بين الخطين، هذه النظريات التی قرأناها و التی انتهينا اليها على ضوء

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعی و التفسير التجزيئی فی القرآن الكريم، ص: ۲۴۰

المجموعة المذكورة سابقا من النصوص القرآنية هذه النظريات هی فی الحقيقة الاساس النظری للاتجاه العام للتشريع الاسلامی فان الاستقلال النسبی بين الخطين، خط علاقات الانسان مع اخيه الانسان و خط علاقات الانسان مع الطبيعة، هذا الاستقلال النسبی يشكل القاعدة لعنصر الثبات فی الشريعة الاسلامية و الاساس لتلك المنطقة الثابتة من التشريع التی تحتوى على الاحكام العامة المنصوصة ذات الطابع الدائم المستمر فی التشريع الاسلامی بينما منطقة التفاعل بين الخطين، بين خط علاقات الانسان مع الطبيعة و خط علاقات الانسان مع اخيه الانسان، منطقة التفاعل و المرونة تشكل فی الحقيقة الاساس لما أسميناه فی كتاب «اقتصادنا» بمنطقة الفراغ تشكل الاساس للعناصر المرنة و المتحركة فی التشريع الاسلامی، هذه العناصر المرنة و المتحركة فی التشريع الاسلامی هی انعكاس تشريعی لواقع تلك المرونة و ذلك التفاعل بين الخطين، و العناصر الاولى الثابتة و الصامدة فی التشريع الاسلامی هی انعكاس تشريعی لذلك الاستقلال النسبی الموجود بين الخطين، بين خط علاقات الانسان مع اخيه الانسان و خط علاقات الانسان مع الطبيعة، و من

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعی و التفسير التجزيئی فی القرآن الكريم، ص: ۲۴۱

هنا نؤمن بأن الصورة التشريعية الاسلامية الكاملة لمجتمع هی فی الحقيقة تحتوى على جانبين، تحتوى على عناصر ثابتة، و تحتوى على عناصر متحركة و مرنة و هذه العناصر المتحركة و المرنة التی ترك للحاكم الشرعی ان يملأها فرضت امامه مؤشرات اسلامية عامة ايضا لكی يملأ هذه العناصر المتحركة وفقا لتلك المؤشرات الاسلامية العامة، و هذا بحث يحتاج الى كلام اكثر من هذا، تفصيلا و اطنابا، من المفروض ان نستوعب هذا البحث ان شاء اللّه تعالى لكی نربط الجانب التشريعی من الاسلام بالجانب النظری التحليلی من القرآن الكريم لعناصر المجتمع و بعد ذلك يبقى علينا بحث آخر فی نظرية الاسلام عن ادوار التاريخ، عن ادوار الانسان على الارض

فان القرآن الكريم يقسم حياة الانسان على الارض الى ثلاثة ادوار، دور الحضانة، و دور الوحدة، و دور التشتت و الاختلاف. و هذه ادوار ثلاثة تحدث عنها القرآن الكريم، بين لكل دور الحالات و الخصائص و المميزات التى يتميز بها ذلك الدور، هذا أيضا بحث سوف نخرج منه بنظرية شاملة كاملة لهذا الجانب من تاريخ الانسان، كل ذلك لا يمكن ان يسعه يوم واحد و بحث واحد اذن فمن الافضل ان نؤجل ذلك،

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۴۲

و ننصرف الآن من منطقة الفكر الى منطقة القلب، من منطقة العقل الى منطقة الوجدان، أريد ان نعيش معا لحظات بقلوبنا لا بعقولنا فقط، بوجداننا، بقلوبنا، نريد ان نعرض هذه القلوب على القرآن الكريم بدلا عن ان نعرض افكارنا و عقولنا، نعرض صدورنا، لمن ولاؤها؟ ما هو ذاك الحب الذى يسودها و يمحورها و يستقطبها؟ ان اللّه سبحانه و تعالى لا يجمع فى قلب واحد ولاءين، لا يجمع حبين مستقطبين. اما حب اللّه و اما حب الدنيا، اما حب اللّه و حب الدنيا معا فلا يجتمعان فى قلب واحد، فلنمتحن قلوبنا، فلنرجع الى قلوبنا لنمتحنها، هل تعيش حب اللّه سبحانه و تعالى، او تعيش حب الدنيا، فان كانت تعيش حب اللّه زدنا ذلك تعميقا و ترسيخا، و ان كانت «نعوذ باللّه» تعيش حب الدنيا، حاولنا ان نتخلص من هذا الداء الوبيل، من هذا المرض المهلك. ان كل حب يستقطب قلب الانسان يتخذ احدى صيغتين و إحدى درجتين.

الدرجة الاولى ان يشكل هذا الحب محورا و قاعدة لمشاعر و عواطف و آمال و طموحات هذا الانسان قد ينصرف عنه فى قضاء حاجة فى حدود خاصة و لكن يعود، سرعان ما يعود الى القاعدة لانها هى المركز، و هى المحور، قد ينشغل

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۴۳

بحديث، قد ينشغل بكلام، قد ينشغل بعمل، بطعام، بشراب، بمواجهة، بعلاقات ثانوية، بصداقات، لكن يبقى ذاك الحب هو المحور، هذه هى الدرجة الاولى، و الدرجة الثانية من الحب المحور ان يستقطب هذا الحب كل وجدان الانسان، بحيث لا يشغله شىء عنه على الاطلاق و معنى انه لا يشغله شىء عنه انه سوف يرى محبوبه و قبلته و كعبته اينما توجه، اينما توجه سوف يرى ذلك المحبوب، هذه هى الدرجة الثانية من الحب المحور هذا التقسيم الثنائى ينطبق على حب اللّه و ينطبق على حب الدنيا، حب اللّه سبحانه و تعالى، الحب الشريف للّه المحور يتخذ هاتين الدرجتين، الدرجة الاولى يتخذها فى نفوس المؤمنين الصالحين الطاهرين الذين نظفوا نفوسهم من اوساخ هذه الدنيا الدنية هؤلاء يجعلون من حب اللّه محورا لكل عواطفهم و مشاعرهم و طموحاتهم و آمالهم، قد ينشغلون بوجبة طعام، بمتعة من المتع المباحة، بلقاء مع صديق، بتنزه فى شارع، و لكن يبقى هذا هو المحور الذى يرجعون اليه بمجرد ان ينتهى هذا الانشغال الطارئ، و اما بالدرجة الثانية فهى الدرجة التى يصل اليها اولياء اللّه من الانبياء و الائمة عليهم أفضل الصلاة و السلام، «على بن

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۴۴

ابى طالب» الذى نحظى بشرف مجاورة قبره، هذا الرجل العظيم كلكم تعرفون ما ذا قال، هو الذى

قال «بأنى ما رأيت شيئا الا و رأيت اللّه معه و قبله و بعده و فيه»

لان حب اللّه فى هذا القلب العظيم استقطب وجدانه الى الدرجة التى منعه من ان يرى شيئا آخر غير اللّه حتى حينما كان يرى الناس، كان يرى فيهم عبيد اللّه، حتى حينما كان يرى النعمة الموفورة كان يرى فيها نعمة اللّه سبحانه و تعالى دائما هذا المعنى الحرفى، هذا الربط باللّه دائما و ابدا يتجسد امام عينه لان محبوبه الأوحد، و معشوقه الاكمل، قبلة آماله و طموحاته، لم يسمح له بشريك فى النظر، فلم يكن يرى الا اللّه سبحانه و تعالى. هذه هى الدرجة الثانية نفس التقسيم الثنائى يأتى فى حب الدنيا، الذى هو رأس كل خطيئة على حد تعبير رسول اللّه (ص)، حب الدنيا يتخذ درجتين: الدرجة الاولى أن يكون حب الدنيا محورا للانسان، قاعدة للانسان فى تصرفاته و سلوكه يتحرك حينما تكون المصلحة الشخصية فى أن يتحرك و يسكن حينما تكون المصلحة الشخصية فى أن يسكن، يتعبد

حينما تكون المصلحة الشخصية فى أن يتعبد و هكذا، الدنيا تكون هى القاعدة، لكن أحيانا أيضا يمكن ان يفلت من

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۴۵

الدنيا، يشتغل اشغال أخرى نظيفة، طاهرة، قد يصلى للّه سبحانه و تعالى، قد يصوم للّه سبحانه و تعالى، لكن سرعان ما يرجع مرة أخرى الى ذلك المحور و ينشد اليه، فلتات يخرج بها من اطار ذلك الشيطان ثم يرجع الى الشيطان مرة أخرى، هذه درجة أولى من هذا المرض الوبيل، مرض حب الدنيا، و اما الدرجة الثانية من هذا المرض الوبيل فهى الدرجة المهلكة، حينما يعمى حب الدنيا هذا الانسان، يسد عليه كل منافذ الرؤية، يكون بالنسبة الى الدنيا كما كان سيد الموحدين و أمير المؤمنين بالنسبة الى اللّه سبحانه و تعالى، انه لم يكن يرى شيئا الا و كان يرى اللّه معه و قبله و بعده حب الدنيا فى الدرجة الثانية يصل الى مستوى بحيث ان الانسان لا يرى شيئا الا و يرى الدنيا فيها و قبلها و بعدها و معها، حتى الاعمال الصالحة تتحول عنده و بمنظاره الى دنيا، تتحول عنده الى متعة، الى مصلحة شخصية حتى الصلاة، حتى الصيام، حتى البحث، حتى الدرس، هذه الالوان كلها تتحول الى دنيا لا يمكنه ان يرى شيئا الا من خلال الدنيا، الا من خلال مقدار ما يمكن لهذا العمل ان يعطيه، يعطيه من حفنة مال أو من كومة جاه لا يمكن ان يستمر معه الا بضعة أيام معدودة، هذه هى الدرجة الثانية

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۴۶

و كل من الدرجتين مهلكة و الدرجة الثانية أشد هلكة من الدرجة الاولى و لهذا

قال رسول اللّه (ص): «حب الدنيا رأس كل خطيئة»

، قال الامام الصادق (ع): «الدنيا كماء البحر من ازداد شربا منه ازداد عطشا».

لا تقل فلآخذ هذه الحفنة من الدنيا ثم أنصرف عنها فالأحصل على هذه المرتبة من جاه الدنيا ثم انصرف الى اللّه ليس الأمر كذلك فان أى مقدار تحصل عليه من مال الدنيا، من مقامات هذه الدنيا الزائلة، سوف يزداد بك العطش و النهم الى المرتبة الاخرى، «الدنيا كماء البحر»،

«الدنيا رأس كل خطيئة».

الرسول (ص) يقول: «من أصبح و اكبر همه الدنيا فليس له من اللّه شىء»

. هذا الكلام يعنى قطع الصلة مع اللّه، يعنى ان ولاءين لا يجتمعان فى قلب واحد من كان ولاؤه للدنيا، فليس له من الله شىء، ليس له صلة مع الله سبحانه و تعالى لان ولاءين لا يجتمعان فى قلب واحد،

«حب الدنيا رأس كل خطيئة»

لان حب الدنيا هو الذى يفرغ الصلاة من معناها و يفرغ الصيام من معناه و يفرغ كل عبادة من معناها، ما ذا يبقى من معنى لهذه العبادات، اذا استولى حب الدنيا على قلب الانسان، أنا و انتم نعرف ان أولئك الذين نأخذهم على ما عملوا مع امير المؤمنين، اولئك لم

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۴۷

يتركوا صلاة، و لم يتركوا صياما، و لم يشربوا خمرا، على الاقل عدد كبير منهم لم يقوموا بشىء من هذا القبيل، لكنهم مع هذا ما هى قيمة هذه الصلاة، و ما هى قيمة هذا الصيام، و ما هى قيمة العفة عن شرب الخمر اذا كان حب الدنيا هو الذى يملأ القلب. ما قيمة صلاة عبد الرحمن بن عوف، عبد الرحمن بن عوف كان صحابيا جليل القدر، كان من السابقين الى الاسلام، كان ممن أسلم و الناس كفار و مشركون تربى على يد رسول اللّه (ص)، عاش مع الوحى، مع القرآن، مع آيات اللّه تترى، لكن ما ذا دهاه؟

ما ذا دهاه حينما فتح اللّه على المسلمين بلاد كسرى و قيصر، و كنوز كسرى و قيصر، ما ذا دهى هذا الرجل المسكين؟ هذا الرجل المسكين ملأ قلبه حب الدنيا، كان يصلى و كان يصوم، و لكن ملأ قلبه حب الدنيا حينما وقف فى خيار واحد بين عثمان و على (ع)،

اما أن يكون عثمان خليفة المسلمين و اما ان يكون على خليفة المسلمين و هو يعلم أنه لو أعطى هذه الخلافة لعلى لأسعد المسلمين الى أبد الدهر و لكنه يعلم أيضا انه حينما يعطيها الى عثمان فقد فتح بذلك باب الفتن الى آخر الدهر يعلم بذلك و قد سمع ذلك من عمر نفسه أيضا، و لكنه فى هذا الخيار غلب حب

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۴۸

الدنيا على قلبه، ضرب على يد عثمان و ترك يد على مبسوطة تنتظر من يبايع، جعل عثمان خليفة، و أقصى عليّا (ع) عن الخلافة، قد تقولون إن هذه معصية هذا كترك الصلاة، لان رسول اللّه (ص) جعل عليا خليفة بعده بلا فصل هذا صحيح، تولى على بن أبى طالب أهم الواجبات و لكن افرضوا و فرض المحال ليس بمحال، لو أن رسول اللّه لم ينص على على بن ابى طالب. أ كان هذا الموقف من عبد الرحمن بن عوف مهضوما؟ أ كان هذا الموقف من عبد الرحمن بن عوف صحيحا؟، لو تركنا كل نصوص الرسول و تركنا حديث الغدير و حديث الثقلين! لو تركنا كل ذلك، لكن بمنطق حب اللّه و حب الدنيا، بمنطق الحرص على الاسلام بمنطق الغيرة على الدين و المسلمين، أ كان هذا الموقف من عبد الرحمن بن عوف سليما، ان يطرح يد على (ع) مبسوطة دون أن يبايعها و يبايع انسانا غير جدير بأن يتحمل الامانة، ان يبايع عثمان بن عفان. اذن المسألة هنا ليست فقط مسألة نص و انما المسألة هنا مسألة حب الدنيا، مسألة خيانة الامانة لان حب الدنيا يعمى و يصم، حب عبد الرحمن بن عوف للدنيا أفقد الصلاة معناها، افقد الصيام معناه، أفقد شهر رمضان معناه، أفقد كل شيء مغزاه

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۴۹

الحقيقى و محتواه النبيل الشريف

«حب الدنيا رأس كل خطيئة»

و حب اللّه سبحانه و تعالى اساس كل كمال، حب اللّه هو الذى يعطى للانسان الكمال، العزة، الشرف، الاستقامة، النظافة، القدرة على مغالبة الضعف فى كل الحالات، حب اللّه سبحانه و تعالى هو الذى جعل اولئك السحرة، يتحولون الى رواد على الطريق، فقالوا لفرعون:

فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ إِنَّما تَقْضِي هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا «۱» كيف قالوا هكذا؟ لان حبّ اللّه اشتعل فى قلوبهم فقالوا لفرعون بكل شجاعة و بطولة «فاقض ما انت قاض، انما تقضى هذه الحياة الدنيا» حب اللّه هو الذى جعل عليا عليه الصلاة و السلام دائما يقف مواقف الشجاعة، مواقف البطولة، هذه الشجاعة، شجاعة على (ع) ليست شجاعة السباع، ليست شجاعة الاسود، و انما هى شجاعة الايمان و حب اللّه، لما ذا؟ لان هذه الشجاعة لم تكن فقط شجاعة البراز فى ميدان الحرب، بل كانت احيانا شجاعة الرفض، احيانا شجاعة الصبر، على بن ابى طالب ضرب المثل الاعلى فى شجاعة المبارزة فى ميدان الحرب شد حزامه و هو ناهز الستين من عمره الشريف و هجم على الخوارج وحده فقاتل أربعة آلاف انسان، هذه قمة الشجاعة فى ميدان المبارزة

---

(۱) سورة طه الآية ۷۲.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۵۰

لان حب اللّه اسكره! فلم يجعله يلتفت أن هؤلاء أربعة آلاف و هو واحد! و ضرب قمة الشجاعة فى الصبر، فى السكوت عن الحق، حينما فرض عليه الاسلام أن يصبر عن حقه و هو فى قمة شبابه، لم يكن فى شيخوخته، كان فى قمة شبابه، كانت حرارة الشباب ملء وجدانه، و لكن الاسلام قال له اسكت، اصبر عن حقك حفاظا على بيضة الدين، ما دام هؤلاء يتحملون حفظ الشعائر الظاهرية للاسلام و للدين، سكت ما دام هؤلاء كانوا يتحفظون على الظواهر و الشعائر الظاهرية للاسلام و الدين، و كان هذا قمة الشجاعة فى الصبر ايضا! هذه ليست شجاعة الاسود، هذه شجاعة المؤمن الذى اسكره حب اللّه! و كان قمة الشجاعة فى الرفض، و فى الإباء حينما

طرح عليه ذلك الرجل أن يبايعه على شروط تخالف كتاب اللّه و سنة رسوله بعد مقتل الخليفة الثانى، ما ذا صنع هذا الرجل العظيم؟ هذا الرجل العظيم الذى كان يحترق لان الخلافة ذهبت من يده، يحترق من أجل اللّه!! لا من أجل نفسه، يقول «و لقد تقمصها ابن ابى قحافة و هو يعلم ان محلى منها محل القطب من الرحى»، هذا الرجل الذى كان يحترق لان الخلافة خرجت من يده، لو ان انسانا يقرأ هذه العبارة

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۵۱

وحدها لقال ما اكثر شهوة هذا الرجل الى السلطان و الى الخلافة! لكن هذا الرجل نفسه، هذا الرجل بذاته عرضت عليه الخلافة، عرضت عليه رئاسة الدنيا فرفضها! لا لشيء الا لانها شرطت بشرط يخالف كتاب اللّه و سنة رسوله. من هنا نعرف ان ذلك الاحتراق لم يكن من أجل ذاته، و انما كان من اجل اللّه سبحانه و تعالى، اذن هذه الشجاعة شجاعة البراز فى يوم البراز، و شجاعة الصبر فى يوم الصبر، و شجاعة الرفض فى يوم الرفض، هذه الشجاعة خلقها فى قلب على حبه للّه، لا اعتقاده بوجود اللّه، هذا الاعتقاد الذى يشاركه فيه فلاسفة الاغريق ايضا، أرسطو أيضا يعتقد بوجود اللّه، افلاطون أيضا يعتقد بوجود اللّه، الفارابى أيضا يعتقد بوجود اللّه، ما ذا صنع هؤلاء للبشرية، و ما ذا صنعوا للدين أو للدنيا، ليس الاعتقاد و انما حب اللّه اضافة الى الاعتقاد، هذا هو الذى صنع هذه المواقف و نحن أولى الناس بأن نطلّق الدنيا، اذا كان حب الدنيا خطيئة، فهو منا نحن الطلبة من اشد الخطايا، هذا الشيء الذى هو خطيئة من غيرنا هو اكثر خطيئة منا، نحن أولى من غيرنا بأن نكون على حذر من هذه الناحية، أولا لاننا نصبنا أنفسنا أدلاء على طريق الآخرة، ما هى مهمتنا

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۵۲

فى الدنيا، ما هى وظيفتنا فى الدنيا؟ اذا سألك انسان، ما ذا تعمل، و ما هو مبرر وجودك، و ما ذا تقول؟ تقول بأنى أريد أن اشد الناس الى الآخرة، اشتد دنيا الناس إلى الآخرة، الى عالم الغيب، الى اللّه سبحانه و تعالى. اذن كيف تقطع دنياك عن الآخرة؟ اذا كانت دنياك مقطوعة عن الآخرة فسوف تشد دنيا الناس الى دنياك لا الى آخرة ربك، سوف نتحول الى قطاع طريق، و لكن أى طريق، الطريق الى اللّه، لا طريق ما بين بلد و بلد، هذا الطريق الى اللّه نحن رواده، نحن القائمون على الدلالة اليه، على الاخذ بيد الناس فيه، فلو اننا أغلقنا باب هذا الطريق، لو اننا تحولنا عن هذا الطريق الى طريق آخر اذن سوف نكون حاجبا عن اللّه، حاجبا عن اليوم الآخر كل انسان يستولى حب الدنيا على قلبه يهلك هو، أما الطلبة، أما نحن اذا استولى حب الدنيا على قلوبنا سوف نهلك و نهلك الآخرين، لاننا وضعنا أنفسنا فى موضع المسئولية، فى موضع ربط الناس باللّه سبحانه و تعالى و اللّه لا يعيش فى قلوبنا، اذن سوف لن نتمكن من أن نربط الناس باللّه، نحن اولى الناس و احق الناس باجتناب هذه المهلكة لاننا ندعى أننا ورثة الانبياء و ورثة الائمة و الاولياء، اننا السائرون على طريق محمد

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۵۳

(ص) و على و الحسن و الحسين عليهم الصلاة و السلام، ألسنا نحاول أن نعيش شرف هذه النسبة هذه النسبة تجعل موقفنا أدق من مواقف الآخرين، لاننا نحن حملة أقوال هؤلاء و افعال هؤلاء، أعرف الناس بأقوالهم، و اعرف الناس بأفعالهم، أ لم

يقل رسول اللّه (ص): «انا معاشر الانبياء لا نورث ذهبا و لا فضة و لا عقارا، انما نورث العلم و الحكمة»

أ لم

يقل على بن ابى طالب عليه الصلاة و السلام: «ان امارتكم هذه أو خلافتكم هذه لا تساوى عندى شيئا الا أن أقيم حقا أو أدحض باطلا».

أ لم يقل على بن ابى طالب ذلك، أ لم يجسد هذا فى حياته، فى كل حياته، على بن أبى طالب كان يعمل للّه سبحانه و تعالى، لم يكن يعمل لدنياه، لو كان على يعمل لدنياه لكان اشقى الناس و أتعس الناس، لان عليا حمل دمه على يده منذ طفولته، منذ صباه،

يـذب عن وجه رسول اللّه (ص) و عن دين اللّه و عن رسالـة اللّه، لم يتردد لحظة فى أن يقدم، لم يكن يحسب للموت حسابا، لم يكن يحسب للحياة حسابا، كان دمه دائما على يـده، كان أطوع الناس لرسول اللّه فى حياة رسول اللّه (ص)، و كان أطوع الناس لرسول اللّه بعد رسول اللّه (ص)، كان اكثر الناس عملا فى

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۵۴

سبيل الدين، و معاناة من أجل الاسـلام. ما ذا حصل، ما ذا حصل عليه على بن أبى طالب (ع)؟ لو جئنا الى مقاييس الدنيا، ما ذا حصل عليه هـذا الرجل العظيم؟ أ لم يقص هـذا الرجل العظيم، أ لم يكن جليس بيته فترة من الزمن، أ لم يسبّ هـذا الرجل العظيم ألف شـهر على منابر المسـلمين! التى اقيمت اعوادها بجهاده، بـدمه، بتضـحياته، سب على منابر المسـلمين! اذن لم يحصل على شـىء من الدنيا لا على حطـام و لاـ على مال و لا على منصب و لا على كناء «۱» و لا على تقـدير، و لكنه على الرغم من ذلك حينما ضـربه عبد الرحمن بن ملجم بالسيف على رأسه «۲» ما ذا قال هذا الامام العظيم؟

قال «لقد فزت و رب الكعبة»

لو كان على يعمل لدنياه لقال و اللّه انى أتعس انسان لانى لم أحصل على شـىء فى مقابل عمر كله جهاد، كله تضـحية، كله حب للّه، لم أحصل على شىء، لكنه لم يقل ذلك،

قال «لقد فزت و رب الكعبة»

انها و اللّه الشـهادة، لانه لم يكن يعمل لدنياه، كان يعمل لربه، و الآن لحظة اللقاء مع اللّه، هذه اللحظة هى اللحظة التى سوف يلتقى بها على مع اللّه سبحانه و تعالى فيوفيه حسابه و يعطيه أجره، يعوضه عما تحمل من شدائد، عما قاسى من مصائب، أ ليس هذا

---

(۱) كناء جمع كنية

(۲) ضربه فى مسجد الكوفة و هو ساجد فى صلاة الفجر.

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۵۵

الامـام هو مثلنـا الاـعلى، أ ليست حيـاة هـذا الامـام هى السـنة، أ ليست مصادر التشـريع عنـدنا الكتاب و السـنة، أ ليست السـنة هى قول المعصوم و فعله و تقريره. علينا أن نحـذر من حب الـدنيا، لانه لا دنيا عنـدنا لكى نحبها! ما ذا نحب؟ نحب الـدنيا؟! نحن الطلبة! ما هى هـذه الـدنيا التى نحبها و نريـد ان نعرق انفسـنا فيها و نترك رضوانا من اللّه أكبر، نترك ما لا عين رأت و لا أذن سـمعت و لا اعترض على خيال بشـر، ما هى هـذه الـدنيا؟ هـذه الدنيا دنيانا هى مجموعة من الاوهام، كل دنيا وهم، لكن دنيانا اكثر وهما من دنيا الآخرين، مجموعة من الاوهام، ما ذا نحصل من الدنيا الا على قدر محدود جدا، لسنا نحن أولئك الذين نهبوا أموال الدنيا و تحدثنا عنهم سابقا، لسـنا نحن أولئك الـذين تركع الـدنيا بين أيـدينا لكى نؤثر الدنيا على الآخرة، دنيا هارون الرشـيد كانت عظيمة، نقيس انفسـنا بهارون الرشـيد، هارون الرشـيد نسبّه ليلا نهارا لانه غرق فى حب الدنيا، لكن تعلمون أى دنيا غرق فيها هارون الرشيد، أى قصور مرتفعة عاش فيها هارون الرشـيد، أى بـذخ و ترف كان يحصل عليه هارون الرشـيد، أى زعامـة و خلافـة و سـلطان امتد مع أرجاء الدنيا حصل عليه هارون الرشيد، هذه دنيا هارون الرشيد، نحن

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۵۶

نقول بأننـا أفضـل من هارون الرشـيد، أورع من هارون الرشـيد، أتقى من هارون الرشـيد، عجباه نحن عرضت علينا دنيا هارون الرشـيد فرفضناها حتى نكون أورع من هارون الرشيد. يا أولادى، يا إخوانى، يا أعزائى، يا أبناء على .. هل عرضت علينا دنيا هارون الرشيد، لا ..

عرض علينـا دنيا هزيلـة، محـدودة، ضـئيلة، دنيا ما أسـرع ما تتفتت، ما اسـرع ما تزول، دنيا لا يسـتطيع الانسان أن يتمـدد فيها كما كان

يتمدد هارون الرشيد، هارون الرشيد يلتفت الى السحابة يقول لها أينما تمطرين يأتيني خراجك، فى سبيل هذه الدنيا سجن موسى بن جعفر (ع)، هل جربنا أن هذه الدنيا تأتى بيدنا ثم لا نسجن موسى بن جعفر؟ جربنا أنفسنا، سألنا انفسنا، طرحنا هذا السؤال على انفسنا، كل واحد منا يطرح هذا السؤال على نفسه، بينه و بين اللّه. ان هذه الدنيا، دنيا هارون الرشيد كلفته أن يسجن موسى بن جعفر، هل وضعت هذه الدنيا أمامنا لكى نفكر بأننا أتقى من هارون الرشيد، ما هى دنيانا؟ هى مسخ من الدنيا، هى أوهام من الدنيا، ليس فيها حقيقة الا حقيقة رضى اللّه سبحانه و تعالى، الا حقيقة رضوان اللّه، كل طالب علم حاله حال على بن أبى طالب، اذا كان يعمل للدنيا فهو

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۵۷

أتعس انسان، لان أبواب الدنيا مفتوحة، خاصة اذا كان طالب له قابلية، له امكانية، له ذكاء، له قابليات، هذا أبواب الدنيا مفتوحة له، فاذا كان يعمل للدنيا فهو أتعس انسان، لانه سوف يخسر الدنيا و الآخرة، لا دنيا الطلبة دنيا و لا الآخرة يحصل عليها، فليكن همنا أن نعمل للآخرة، أن نعيش فى قلوبنا حب اللّه سبحانه و تعالى بدلا عن حب الدنيا لانه لا دنيا معتد بها عندنا، الائمة عليهم السلام علمونا بأن نتذكر الموت دائما يكون من العلاجات المفيدة لحب الدنيا، أن يتذكر الانسان الموت، كل واحد منا يعتقد بأن كل من عليها فان، لكن القضية دائما و ابدا لا يجسدها بالنسبة الى نفسه، من العلاجات المفيدة ان يجسدها بالنسبة الى نفسه، دائما يتصور بأنه يمكن أن يموت بين لحظة و اخرى، كل واحد منا يوجد لديه أصدقاء ماتوا، اخوان انتقلوا من هذه الدار الى دار الاخرى، أبى لم يعش فى الحياة اكثر مما عشت حتى الآن، أخى لم يعش فى الحياة اكثر مما عشت حتى الآن، أنا الآن استوفيت هذا العمر، من المعقول جدا أن أموت فى السن الذى مات فيه أبى، من المعقول جدا أن أموت فى السن التى مات فيها أخى، كل واحد منا لا بد و أن يكون له قدوة من هذا القبيل،

المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعى و التفسير التجزيئى فى القرآن الكريم، ص: ۲۵۸

لا بد و ان احباب له قد رحلوا، أعزة له قد انتقلوا لم يبق من طموحاتهم شيء، لم يبق من آمالهم شيء ان كانوا قد عملوا للآخرة فقد رحلوا الى مليك مقتدر، الى مقعد صدق عند مليك مقتدر، و اذا كانوا قد عملوا للدنيا فقد انتهى كل شيء بالنسبة اليهم، هذه عبر، هذه العبر التى علمنا الائمة عليهم السلام ان نستحضرها دائما، تكسر فينا شره الحياة، ما هى هذه الحياة؛ لعلها أيام فقط، لعلها أشهر فقط، لعلها سنوات، لما ذا نعمل دائما و نحرص دائما على اساس انها حياة طويلة، لعلنا لا ندافع الا عن عشرة ايام، الا عن شهر، الا عن شهرين لا ندرى عن ما ذا ندافع، لا ندرى اننا نحتمل هذا القدر من الخطايا، هذا القدر من الآثام، هذا القدر من التقصير أمام اللّه سبحانه و تعالى و أمام ديننا، نتحمله فى سبيل الدفاع عن ما ذا، عن عشرة أيام، عن شهر، عن أشهر ... هذه بضاعة رخيصة، نسأل اللّه سبحانه و تعالى ان يطهر قلوبنا و ينقى أرواحنا، و يجعل اللّه اكثر همنا، و يملأها حبا له، و خشية منه، و تصديقا به، و عملا بكتابه.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰

الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عنايةِ سماحةِ آيةِ الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹